الطبقات الوسطى في تونس بعد 14 جانفي 2011

ليدرز العربية

Leaders

العدد 14 • السعر : 2،5 د.ت • فيفري 2017

سرقة الآثار

الذاكرة المنهوبة

TUNISAIR NON DESTINÉ À LA VENTE

هل تولّد الانتخابات البلدية ديناميكية سياسية جديدة ؟

بقلم عبد الحفيظ المرقام

وأخيرا

صادق مجلس نواب الشعب على القانون الأساسي المتعلّق بالانتخابات والاستفتاء الذي خوّل للعسكريين والأمنيّين التصويت في الانتخابات البلدية والجهوية دون سواها، بعد جدل بشأن هذه المسألة استمرّ أشهرا، وبذلك ينفتح مسار الإعداد للانتخابات البلدية التي من المنتظر أن تُجرى قبل موفّى هذه السنة.

ستكون هذه الانتخابات قطعا امتحانا جديّا لسائر الأحزاب السياسية، فهي مقياس لمدى اتّساع قواعدها الجماهيرية وتجذّرها في الواقع اليومي للمواطن بكلّ إشكالاته. وهي حتما المَعْبر الحقيقي نحو الانتخابات التشريعية والرئاسية التي يفصلنا عن موعدها أقلّ من ثلاث سنوات، وذلك بالنسبة إلى كلّ حزب يرفض أن يكون مجرّد رقم في المشهد السياسي.

ومن المرجّح أن تواجه الأحزاب في الانتخابات البلدية القادمة منافسة حادّة من القائمات المستقلّة القريبة من أوساط المجتمع المدني، ولا يُستبعد أن تَحدُث مفاجآت كبرى في عديد الدوائر فتبرز وجوه جديدة يعتبرها الناخبون الأقرب لحمل تطلّعاتهم والتعبير عن شواغلهم والأجدر بالتالي بإدارة شؤونهم المحليّة، ممّا قد يفضي إلى تغيير عميق في الخارطة السياسية وفي الممارسة الانتخابية.

وإذا ما أرادت الأحزاب أن تكون حاضرة بقوّة في كلّ دوائر الانتخابات البلدية، عليها أنّ تعدّ قائمات تضمّ في المجموع 7206 مرشّحين يضاف إليها قائمات تكميلية لا يقلّ عدد المرشّحين فيها عن مرشّحين إثنين، مع مراعاة أحكام القانون الانتخابي في ما يخصّ تعزيز تمثيلية النساء والشباب في المجالس المنتخبة. كما عليها، إن عزمت على المشاركة في انتخابات المجالس الجهويّة، أن تعدّ قائمات من 1140 مرشّحا في كلّ الجهات.

وإذا استثنينا قلّة قليلة من الأحزاب المهيكلة وذات الانتشار الميداني الواسع، لنا أن نتساءل عن الأحزاب الأخرى القادرة على المشاركة الواسعة في هذه الانتخابات والتي تستوجب جملة من الشروط من أهمّها :

• معرفة دقيقة بسوسيولجية المدن والقرى والأرياف التي شهدت في العقود الأخيرة تغيّرات جذرية في تركيبتها الديموغرافية ونسيجها العمراني وعقليات سكّانها وسلوكياتهم ...

• توفّر مخزون بشري مهمّ يُنتقى منه أفضل المرشّحين كفاءة وإشعاعا وقدرة على الإلمام بمختلف أبعاد الحكم المحلّي وخصائصه، باعتباره يقوم بالأساس على مفهوم القرب في تصريف الشأن العام، بما يعنيه ذلك من متابعة يوميّة لمناحي حياة المواطن وسهر على تجويد الخدمات المقدّمة له.

• إعداد استراتيجية محكمة، مترابطة الحلقات، تنطلق من حسن اختيار المرشّحين وتأهيلهم لخوض الحملة الانتخابية، وصولا إلى تمكينهم من التكوين الجيّد للاضطلاع بمسؤولياتهم على الوجه الأكمل عند انتخابهم.

• تعبئة الموارد الماليّة اللازمة في إطار الشفافية التامّة وفق ما ينصّ عليه القانون لتغطية مصاريف الحملة الانتخابية، التي لن تسمح المنحة المخصّصة لكلّ قائمة إلّا بمجابهة جانب منها.

إنّ موضوع الانتخابات البلدية والجهوية يحيلنا على قضيّة أشمل ألا وهي الظاهرة الحزبية في تونس في علاقتها بجوهر العمل السياسي. ومن البديهي أنّ أيّ حزب، مهما كان حجمه، مطالب بخوض غمار هذه الانتخابات، وإلّا لن يكون في الحقيقة سوى واجهة لدكّان يمسك صاحبه بـ«باتيندة» سياسية لممارسة المزايدة والشعبوية في الفضاءات العامّة ووسائل الإعلام، في غياب الرؤى الواضحة والواقعية والقدرة على الإحاطة بالجماهير والتأثير فيها. كما أنّ الطموح السياسي - وهو أمر مشروع - لا يتكرّس عبر حلقات النقاش والتفكير في القاعات المغلقة، وإنّما بالعمل الميداني وبطرح البدائل على الناخبين.

ولعلّ تونس في أوكد الحاجة اليوم إلى ديناميكية سياسية تتجاوز بها صدام الزعامات وحالة الصراعات والتجاذبات داخل عدد من الأحزاب وخارجها وتساعد على بروز نخب جديدة قادرة على الحكم وعلى إثراء الحوار حول جملة من الملفّات الحارقة كالتنمية الجهوية والتشغيل والتربية والمياه والإنتاج الفلاحي والصحّة العمومية... والتي تذوب كلّها في خضمّ السّجال السياسي الدائر والمصالح الحزبية والفئويّة الضيّقة. ومن شأن هذه الديناميكية أنّ تضخّ في شرايين الديمقراطية التونسية الناشئة دماء جديدة تعزّز مناعتها وتقيها مخاطرالردّة والانتكاس، وذلك في الوقت الذي تشهد فيه الأوضاع الإقليمية والدوليّة تطوّرات جديدة لا يمكن لأحد التكهّن بمداها، لا سيّما بعد صعود دونالد ترامب إلى سدّة الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية.

فهل تكون الانتخابات البلدية التي تدقّ مع انطلاق مسارها ساعة الحقيقة بالنسبة إلى الأحزاب والنخب المسيّسة مولّدا لهذه الديناميكية المنعشة ؟

ع.ه

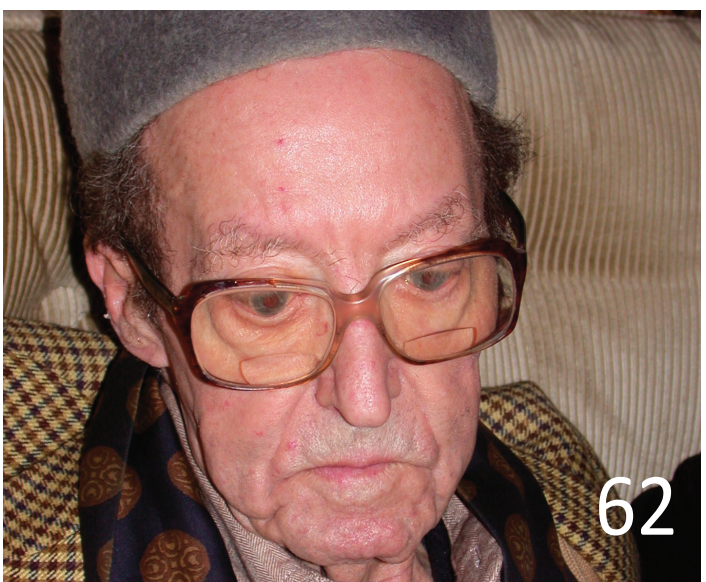

الفـهـرس

الافتتاحيّة

• هل تولّد الانتخابات البلدية ديناميكية سياسية جديدة ؟ 1
عبد الحفيظ الهرقام

شؤون وطنيّة

• تونس ـ إيطاليا : عندما يَفْتَحُ الجيرانُ أبوابهم الواسعة 10

• سرقة الآثار: الذّاكرة المنهوبة 14

• نبض الحياة و«نزهة المشتاق» 26
احميدة النّيفر

• لماذا المدارس العربيّة في تونس؟ 28
خالد الشّابي

• يحتطبون من الاعتصامات «الوحشيّة» لإشعال نار الفتنة 34
رشيد خشانة

• التّنمية...الحكم المحلّي واللاّمركزيّة 36
أبو عطف

• الطّبقات الوسطى في تونس بعد 14 جانفي 2011 42
الحبيب التوهامي

• العقل السّياسي التّونسي بين التّفكير والسّجال 46
الحبيب الدريدي

سياحة

• طبرقة في فصل الشّتاء، فندق La Cigale : الجمال والخدمة الرّاقية 48

ليدرز العربية Leaders

مجلّة شهريّة تصدر في منتصف كلّ شهر

المدير المسؤول
توفيق الحبيّب

مستشار التّحرير
الهادي الباهي

مدير التّحرير
عبد الحفيظ الهرقام

هيئة التّحرير

احميده النّيفر • رشيد خشانة • محمّد العزيز ابن عاشور • عبد اللطيف الفراتي • محمّد ابراهيم الحصايري • عزالدين المدني • محمّد حسين فنطر • منى كريم الدريدي • عادل الأحمر • منذر بالضيافي • الصحبي الوهايبي• عامر بوعزّة • الحبيب الدريدي• توفيق جابر• المختار المستيسر • العادل كمّون• العادل كعنيش • علي اللواتي • يوسف قدية• عبد الدايم الصماري • سميرة شتيلة • نجاح الخرّاز

التصور والإخراج
أحمد الشارني

موقع الواب
رايد بوعزيز

صور
ليـــدرز حقوق محفوظة

مراجعة النّصوص
احميدة الحيدري

فيديو
مروى مقني

التسويق والاتصال

جيهان واز • إيمان الشنوفي • بوران النّيفر

الإدارة والتوزيع والاشتراكات

فيصل المجّادي • حمدي المزوغي

الإسناد

شوقي الرياحي • الحبيب العبّاسي • لمياء عليّات • ليلى منيف

طباعة

سامباكت

PR Factory
مجمّع النّور، مدينة العلوم،
صندوق بريد 200، حي المهرجان 1082، تونس
الهاتف: 111 232 71 - فاكس: 333 750 71

www.leaders.com.tn
marketing@leaders.com.tn
redaction@leaders.com.tn

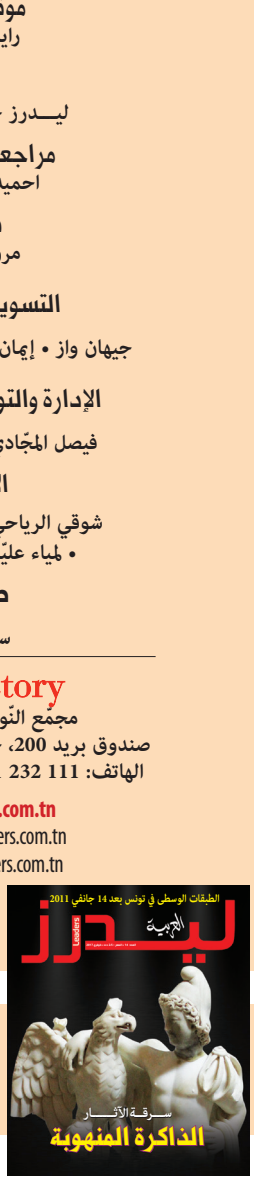

متوفرّة على رحـلات
الخطوط التونسية TUNISAIR

شؤون دوليّة

• **هل باتت القضيّة الفلسطينيّة على مشارف لعبة دُوليّة جديدة؟** 52
محمّد ابراهيم الحصايري

شؤون عربيّة

• **ما بعد داعش في العراق، أيّ مصير للأقليّات؟** 56
حنان زبيس

أعلام تونسيّون

• **محمود المسعدي : الفكر والمسيرة** 62
الشاذلي القليبي

ثقافة وفنون

• **حمّودة بن حليمة : حلقة الوصل بين الأدب والسّينما في تونس** 66
عامر بوعزّة

• **الإبداع الأدبي وإشكاليّات الزّمن الرّاهن** 70
عز الدّين المدني

مجتمع

• **يوميّات مواطن عيّاش : نار يا حبيبي نار!** 74
عادل الأحمر

بطاقة

• **الدّيك والثّورة** 76
الصّحبي الوهايبي

تعزيزا للشراكة بين تونس والبرتغال

تحدو تونس والبرتغال رغبة مشتركة في تعزيز علاقاتهما والارتقاء بالتعاون بينهما إلى شراكة فاعلة. ومن المنتظر أن تشهد السنة الحالية التي تصادف الذكرى الستين لإقامة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين أحداثا مهمّة على الصعيد الثنائي، إذ من المرجّح أن يتحوّل وزير الشؤون الخارجية خميس الجهيناوي في غضون شهر مارس إلى لشبونة في زيارة رسمية قد تمهّد السبيل لزيارة يؤدّيها الرئيس الباجي قايد السبسي إلى البرتغال بدعوة من نظيره البرتغالي الذي يتطلّع بدوره إلى زيارة تونس وإلقاء محاضرة حول تجربة الانتقال الديمقراطي في بلاده، غداة ثورة «القرنفل» التي وضعت حدّا في أفريل 1974 لقرابة نصف قرن من الحكم الدكتاتوري ، علما وأنّ مرسيلو روبيلو دي سوسا Marcelo Robelo De sousa الذي انتخب في جانفي 2016 رئيسا للجمهورية قد ساهم بوصفه عضوا في المجلس التأسيسي الذي قام عقب هذه الثورة في صياغة دستور ديمقراطي للبلاد.

كما يُتوقّع أن تنعقد بتونس في نهاية الثلاثية الثالثة من السنة الجارية قمّة تجمع رئيسي الحكومتين ، يقام على هامشها منتدى لرجال الأعمال يسهر على تنظيمه الاتحاد التونسي للصناعة والتجارة والصناعات التقليدية بغية البحث في فرص الشراكة بين الفاعلين الاقتصاديين في البلدين وتنمية المبادلات التجارية بينهما. ويعمل سفير البرتغال الجديد في تونس خوزي لودوفيس José Ludovice بالتنسيق مع سفيرة تونس بلشبونة سلوى البحري ووزارة الشؤون الخارجية على الإعداد الجيّد لهذه المواعيد الكبرى، تحقيقا لمزيد التقارب وتوسيعا لسبل التعاون بين البلدين في مختلف المجالات.

لماذا تستورد تونس الأسماك؟

علمت ليدرز من مصادر مطّلعة أنّ لجوء تونس إلى استيراد الأسماك لا يعود إلى نقص في الإنتاج ولا إلى صعوبات يواجهها قطاع تربية الأسماك، وإنّما مردّه الحرص على تعديل السوق للحيلولة دون ارتفاع الأسعار، حفاظا على المقدرة الشرائية للمواطن. وبالتوازي مع ذلك، يتواصل تصدير أنواع من السمك والرخويات والقشريات البحرية المطلوبة في عدد من الأسواق في الخارج، ولا سيّما الأوروبية منها، بأسعار مرتفعة، قصد توفير موارد للدولة بالعملة الصعبة.

À partir du 06 Juillet 2016, chaque Mercredi et Samedi

TUNIS - NIAMEY

Une nouvelle destination pour un réseau encore plus grand

tunisair.com

GET CLOSER

الخطوط التونسية
TUNISAIR

البنك الوطني الفلاحي
BNA

Le défi d'une banque universelle

Depuis sa création en 1959, la **BNA** n'a cessé d'être à **l'avant-garde** de la scène économique et financière, et **s'impose aujourd'hui** sur la place non seulement comme une **banque de financement de l'agriculture**, mais s'affirme comme une **banque universelle, citoyenne** et plus proche de ses clients. **Banque moderne**, son **savoir-faire et son expertise** n'ont fait que la consolider comme un acteur incontournable de la **réussite** personnelle et professionnelle, particulière et nationale.

La banque de tous les défis

Pour plus d'informations, visitez notre site : **www.bna.tn** ou contactez l'une de nos agences.

Adresse : Rue de Syrie-1002 Tunis Belvédère - Phone : +216 71 831 000 / + 216 71 831 200 - BNAphone : 88 40 00 20 - Email : bna@bna.com.tn - N° Vert : 80 100 505

خطّة لتحقيق الأمن المائي

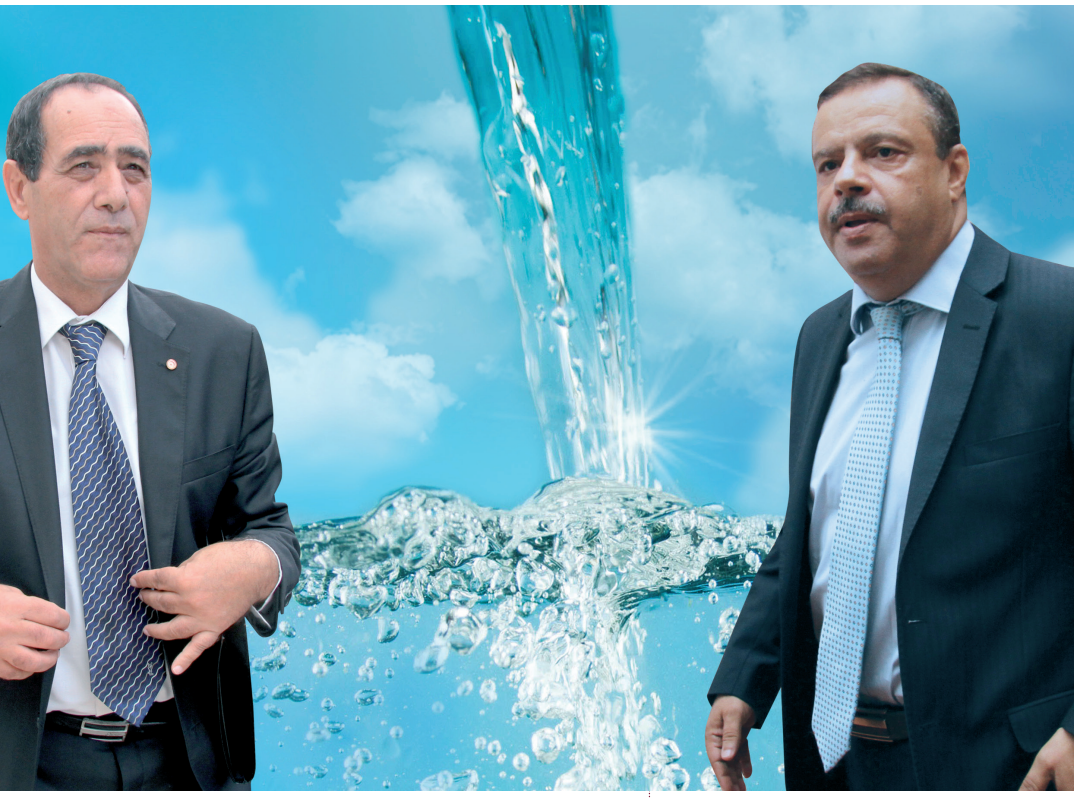

يخوض سمير بالطيب، وزير الفلاحة والموارد المائية والصيد البحري وعبد الله الرابحي، كاتب الدولة المكلّف بالمواد المائية والصيد البحري سباقا ضدّ الزمن لإنجاز المشاريع المائية في آجالها، من خلال متابعتها في كلّ ولاية وفي كلّ حضيرة ، في إطار خطّة ترمي إلى تحقيق الأمن المائي وذلك بالتوظيف الأمثل للموارد المائية في مجال الريّ الزراعي وإلى إحكام توزيع مياه الشرب وصيانة شبكتها وتطويرها، تفاديا لظاهرة انقطاع الماء التي اشتكى منها المواطنون في السابق في عدد من المناطق.

وفد من رجال الهنود في تونس في مارس القادم

أدّى مؤخّرا سفيان الحفيان، كاتب الدولة المكلّف بالتجارة زيارة إلى الهند تقابل خلالها مع وزير التجارة في هذا البلد وشارك في أعمال ملتقى أقيم في ولاية أندرا براداش الواقعة في الجنوب وتحادث مع واليها. ومن نتائج هذه اللقاءات أن تمّ الاتفاق على أن يزور تونس في غضون شهر مارس القادم وفد كبير من رجال الأعمال الهنود ينشطون في عدّة قطاعات، منها الفلاحة وتكنولوجيات المعلومات والصناعات الكيماوية وصناعة الأدوية وصناعة التجهيزات الكهربائية. ومن المنتظر أن يلتقي هذا الوفد المسؤولين في الاتحاد التونسي للصناعة والتجارة والصناعات التقليدية وكنفدرالية المؤسسات المواطنة التونسية ويقوم بزيارة إلى صفاقس وذلك للتعرّف على واقع السوق التونسية ولاستكشاف فرص الاستثمار والشراكة في البلاد. ومن بين الأفكار المطروحة جعل تونس قاعدة لإنتاج مواد وتجهيزات في نطاق الشراكة ومنطلقا لتصديرها نحو أوروبا وإفريقيا.

الوشاح الأكبر لدولة فلسطين للأستاذ الشـــاذلي القليبـــي

تسلّم الأستاذ الشاذلي القليبي الأمين العام الأسبق لجامعة الدول العربية صباح يوم الإثنين 6 فيفري الجاري الوشاح الأكبر «نجمة فلسطين» الذي منحه إيّاه محمود عبّاس رئيس دولة فلسطين ورئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية «تقديرا لدوره القومي واعترافا بجهوده في دعم حقوق الشعب الفلسطيني وقضيته العادلة».

وقد اكتظّت قاعة مركز الجامعة بمنطقة البحيرة بالمدعوين من شخصيات وطنية ورؤساء بعثات ديبلوماسية عربية في تونس ورجالات الفكر والثقافة والفنّ والإعلام ومن موظفين سابقين بجامعة الدول العربية، إلى جانب ثلّة من أفراد أسرة المحتفى به وأصدقائه، من بينهم الوزير الأسبق السيد أحمد بن صالح. وحضر هذا الحفل البهيج السيد لزهر القروي الشابي الوزير الممثل الخاصّ لرئيس الجمهورية الذي جاء موفدا من الرئيس الباجي قايد السبسي. وقال إنّ « هذا التكريم ليس فقط للسيد الشاذلي القليبي وإنّما تقدير لتونس وشعبها وعرفان بما قدمه هذا الرجل من جليل الخدمات لخدمة القضايا العربية والدفاع عن مصالحها وفي مقدّمتها قضية الشعب الفلسطيني العادلة ونضاله لاسترداد حقوقه وإقامة دولته المستقلّة، وعاصمتها القدس الشريف».

كما حضر الحفل مفتي الجمهورية الشيخ عثمان بطيخ، والسيد صبري باشطبجي كاتب الدولة لدى وزير الشؤون الخـــارجية والسيد طـــارق بن سالم المستشار الديبلوماسي لدى رئيس الحكومة والنائبة جميلة الكسيكسي، ممثلة عن رئيس مجلس نوّاب الشعب. واعتبر السيد هايل الفاهوم سفير فلسطين بتونس الذي سلّم الوشاح الأكبر للأستاذ الشاذلي

القليبي باسم الرئيس الفلسطيني أنّ المكرّم «مدرسة ومرجعية»، مشيدا بإسهام تونس عند احتضانها للقيادة الفلسطينية في فتح أبواب العالم أمام القضية الفلسطينية بعد أن طبعتها بسمات المنهجية الواقعية.

وقال الأستاذ الشّاذلي القليبي في كلمته إنّ مكانة فلسطين لدى كلّ تونسي مكانة الوطن الثّاني، غيرة وحماسا وإنّ الزعيم الحبيب بورقيبة ما فتىء يُوصي القادة الفلسطينيّين بالتوجّه إلى الرأي العام الدُولي، لإقناعه بمشروعيّة كفاحهم، من أجل إقامة دولةٍ مستقلّة – حسب ما جاء به قرار الأمم المُتّحدة، رغم ما انطوَى عليه من ظلم، في حقّ الشعب الفلسطيني. ولكن الظروف العربيّة لم تكُن، إذّاك، لِتجعل الفلسطينيّين يتجاوبون مع هذه النِظرة «البراڤماطيّة» ؛ الأمر الذي أدّى إلى مضاعفات، مكّنت إسرائيل من إحكام سيطرتها على أغلب التراب الفلسطيني.

وأكّد الأستاذ الشاذلي القليبي أنّ «الأوضاع الدُوليّة على وشك أن تشهد تطوّراتٍ جديدة لا يُمكن لأحد التكهّنُ بمداها، ممّا يدعو إلى اتّخاذ السلاح النافذ المفعول، في كلّ الظروف وهو العمل من أجل النهوض الحضاري بكلّ أجزاء الأمّة العربيّة، لإخراجها جميعا من التخلّف، كُلّيةً، ولإكسابها القدرةَ على الذود عن حياضها بجهود أبنائها، حتّى تكون لها الكلمةُ المسموعة، في المحافل الدُوليّة. لكن لا يتسنّى لنا بلوغ هذه المنزلة، بمواصلة التقليد والاقتداء والاقتباس : فنبقى بذلك، دوما، تحت الوصاية المباشرة أو المعنويّة».

وبيّن أنّ الدول العربية لن تستطيع أن تدافع عن القضية الفلسطينية الدفاع المُجدي إلاّ إذا كانت مجتمعاتها على درجة، من التطوّر الحضاري، تجعلها محلّ احترام دُوليّا، وتَقيها مهانةَ أن تشهد دُون حراك هجرةَ جموع من أبنائها، جِثِيًا على أعتاب دُول أجنبيّة، مستجْدِين لُقمةَ الخبز المُرّ، أو متسوِّلين أمن الهُون.

تونس . إيطاليا

عندما يَفْتَحُ الجيرانُ أبوابهم الواسعة

روما ـ من موفد ليدرز الخاص، التّوفيق الحبيّب

عـاد الرّئيـس البـاجي قايد السّبسي من زيـارة الـدّولة التي أدّاها يومي 8 و9 فيفري 2017 إلى روما مفعما بشعور عميق بأنّ أبوابا واسعة تفتح من جديد أمام البلدين واعتزاز بما لمسه لدى كلّ القادة الإيطاليين من محبّة خاصّة لتونس وتقدير كبير لدورها الرّيادي في المنطقة ودعم للمبادرة التي أطلقها لدفع الأزمة اللّيبيّة نحو حلُول التّفاهم والوحدة الوطنيّة.

وبقدر ما حرصت إيطاليا على إبراز مظاهر الحفاوة والتّقدير، فإنّها اغتنمت فرصة هذه الزّيارة لتعميق المباحثات لتشمل قضايا تعتبرها حيويّة بالنّسبة إلى البلدين، وخاصّة منها الهجرة السريّة والتّطرّف الدّيني والإرهاب.

وقد توفّق الرّئيس الباجي قايد السّبسي إلى إقناع القادة الإيطاليين، بخصوص الهجرة السريّة، بضرورة القضاء على أسبابها الاقتصاديّة وإقرار خطّة متكاملة يُصيغها الاتّحاد الأوروبّي بالتّعاون مع دول جنوب المتوسّط وإفريقيا، تتعدّى إحكام خفر السّواحل إلى إطلاق مشاريع انمائيّة في دول المصدر. وكانت كلمة تونس مسموعة بانتباه بعد نجاحها في الحدّ من إبحار المهاجرين ا لسرّيين عبر سواحلها من 22 ألف سنة 2011 إلى ما لا يزيد عن الألف في السّنوات الأخيرة.

وكذلك هو الشأن بالنّسبة إلى التّطرّف ا لدّيني العنيف والإرهاب اللّذين يستدعى مكافحتهما مقاربة أشمل من المواجهة الأمنيّة والعسكريّة لاستئصال أسباب الشّعور باليأس والإحباط وغرس قيم العلوم والثقافة والرّقيّ في نفوس الشّباب.

وقد أصغى المسؤولون الإيطاليّون إلى الرئيس الباجي قايد السّبسي باهتمام كبير باعتباره يفصح لهم عن خلاصة تجربة حقيقيّة تعيشها تونس ويتحدّث عن حكمة ورويّة. عديد الشّخصيّات الإيطاليّة، انطلاقا من رئيس الجمهوريّة والوزير الأوّل وكذلك كلّ من رئيس مجلس الشّيوخ ورئيس مجلس النّواب بالخصوص، عبّروا عن توافقهم مع التمشّي التّونسي وحرصهم على إسناد المسار الدّيمقراطي، بنجاح اقتصادي ورفاه اجتماعي، وذهب البعض منهم إلى حدّ التّعبير في نقد ذاتي جريء، وعلني، عن تقصير إيطاليا والاتّحاد الأوروبيّ والمجموعة الدّوليّة في دعم تونس، وانتقاد غياب سياسة متوسّطيّة فاعلة ومنجزة. وأشادوا بتجربة تونس في صمودها أمام التّطرّف والإرهاب بالتّوازي مع ترسيخ الدّيمقراطيّة واعتبروها عنصرا هامّا لاستتباب الأمن والاستقرار في المنطقة. ولئن جاءت اتفاقيّات التّعاون المبرمة بين البلدين في عديد المجالات لتقرّ برامج عمل مضبوطة فإنّ إعلان إيطاليا منح تونس مبلغ 165 مليون يورو منها 65 مليون يورو في شكل هبة والباقي في شكل قرض تفاضلي، يشكّل فاتحة لما هو أهمّ، خاصّة مع اقتناع كبرى الشّركات بما يتوفّر في تونس من فرص استثمار قيّمة.

ولقد عرف الرّئيس الباجي قايد السّبسي كيف يجلب لتونس اهتمام إيطاليا الرّسميّة وإيطاليا الاقتصاديّة من خلال مدخلين إضافيين رئيسيين. أولهما ليبيا والكلّ يعرف أهميّة هذا البلد بالنّسبة إلى إيطاليا بحكم الجوار والتّاريخ والمصالح. ولئن بقي مجال تحرّك إيطاليا في هذا الملف محدودا جدّا خاصّة مع مصر جار ليبيا الشّرقي، فإنّها تجد في مبادرة تونس، مع كلّ من الجزائر ومصر، فرصة هامّة تجعلها تواكب المستجدات وقد تفتح لها يوما ما إمكانيّة استعادة موطإ قدم ضمن جهود حلّ الأزمة. وعلى الصّعيد الاقتصادي فإنّ استرجاع إيطاليا لدورها في تسوية الوضع اللّيبي يسمح لشركاتها بالمساهمة في إعادة الإعمار والاستفادة ممّا يتاح من فرص تجاريّة وغيرها. وتعلم إيطاليا أنّ تونس هي المعبر البرّي الأساسي إلى ليبيا، وعلى الأقل من جهتها الغربيّة.

أمّا المدخل الثّاني، فيتمثّل في إثارة اهتمام الشّركات الإيطاليّة بالمشاريع الكبرى التّي سيتمّ تنفيذها في تونس خاصّة وأنّ المخطّط التّنموي الجديد رصد اعتمـادات جمليّـة لا تقلّ عن 128 مليار دينار إلى حدود 2020، يخصّص جزء هامّ منها لإنشاء محطّات كهربائيّة وتوسيع عدد من الـمواني وإنجاز مينـاء في الميـاه العميقة وبنـاء سدود وطرق سيّارة وغيرها من المشاريع التّي يمكن للمؤسّسات الإيطاليّة التقدّم لإنجازها.

ت.ح

سرقة الآثار
الذاكرة المنهوبة

تحقيق عبد الحفيظ الهرقام

سرقة الآثار والاتّجار فيها جريمة تختلف في طبيعتها عن الجرائم الأخرى، المتضرّر منها ليس الفرد الذي لا يرفع شكاية إلا إذا تعرّض إلى الاعتداء في بدنه أو ممتلكاته أو هُضم جانبه، بل الذي يلحقه الضرر جرّاءها هو الكيان الوطني بإسره، لأنّها تستهدف تاريخه وإرثه الحضاري وذاكرته. تونس التي تعاقبت على أديمها حضارات مختلفة تعدّ آلاف المواقع والمعالم الأثرية، عدد منها صنّفته اليونسكو ضمن تراث الإنسانية العالمي ، لذلك كانت ولا تزال محلّ أطماع عصابات سرقة الآثار والاتجار فيها.

من سنة 2012 إلى سنة 2016 سُجّلت على الصعيد الوطني 540 قضية تنقيب غير شرعية عن الآثار و116 قضية اتّجار فيها، تعهّدت بها وحدات الأمن والحرس، ولعلّ القضية التي أوليت اهتماما خاصّا هي قضية سرقة تمثال «غانيماد»،هذه القطعة الفنية الفريدة من نوعها في العالم والتي توفقت الإدارة الفرعية للقضايا الإجرامية ومصلحة المحافظة على الآثار والتحف التابعة لها في استرجاعها ليلة 26 جانفي الماضي، بعد جهود مضنية استمرّت أكثر من ثلاث سنوات.

في هذا الملفّ، تسلّط ليدرز أضواء كاشفة على عالم جريمة سرقة الآثار في تونس والاتّجار فيها، وتستعرض الحصيلة المسجّلة في مجال مكافحتها وتطرح إشكالات حماية التراث الأثري وصيانته.←

سرقة

الآثار والاتّجار فيها جريمة معروفة منذ القدم، تنامت بالخصوص في القرن التاسع عشر، مستهدفة البلدان المتميّزة بثراء مخزونها الأثري وتنوّعه. منذ أوائل القرن، سعت القوى الاستعمارية إلى وضع اليد على جانب من هذا المخزون لتنمية أرصدة متاحفها. مجوهرات ومنحوتات وتحف فنية وقطع نقديّة ولوحات فسيفسائية وكتب ومخطوطات نفيسة... وحتّى مومياءات فرعونية تقوم شواهد على عظمة حضارات إنسانية مختلفة أخذت طريقها إلى متاحف عدّة مثل متحف اللوفر بباريس والمتحف البريطاني بلندن اللذين يقبل على زيارتهما كلّ سنة عشرات الملايين من السوّاح .ألم يكن من بين أهداف حملة الجنرال نابليون بونابرت على مصر (1798 ـ 1801) جلب ما تيسّر من تراث هذا البلد، وخاصّة الفرعوني منه، تحت غطاء «المهمّة العلميّة» ؟ أمّا اليوم ، فإنّ الشبكات المنظّمة وجدت في بلدان في حالة حرب كالعراق وسوريا واليمن مناجم تظفر منها بغنائم أثرية تنمّي تجارتها. هل ننسى كيف نُهب المتحف العراقي، بكلّ ما يحتويه من نفائس، غداة سقوط بغداد يوم 9 أفريل 2003 ؟

نهب ممنهج

لم يسلم التـــراث الأثري التونسي خلال القرن التاسع عشر من النهب والسرقة. يخبرنا هنري دونان(1) Henry Dunant في كتابه Notice sur la Régence de Tunis (2) أنّ المـــواطـــن الأنقليزي ناتان دافيس (3) Nathan Davis قام في ربيع سنة 1857 بحفريات في الموقع الأثري بقرطاج واستخرج منه عدّة قطع منها لوحات من الفسيفساء وتماثيل من المرمر الأبيض تعود إلى العهد الفينيقي وأنّ الباي وحاشيته زاروه في حضيرة التنقيب، مبدين اهتماما بأعماله، مضيفا أنّ دافيس الذي أقام عدّة مرّات في تونس زار الكاف وتبرسق وتستور وعين تونقة ودقّة وأوتيك والوطن القبلي ووسط البلاد. وكتب هنري دونان بشيء من التهكّم : «يبدو أنّ الهدف من مهمّة دافيس إثراء أوروبا بممتلكات قرطاج!!»

وجاء في مصدر آخر أنّ ناتان دافيس الذي قام بهذه المهمّة بدعم من حكومته أرسل 51 صندوقا شُحنت فيها قطع أثرية تونسية إلى المتحف البريطاني في أواخر سنة 1858، وتواصلت إرسالياته سنتي 1859 و1860، في أعقاب حفريات أجراها في قرطاج وأوتيك بيد عاملة تونسية.

لكنّ أخطر عملية نهب استهدفت الذاكرة الوطنية هي تلك التي جدّت في الليلة الفاصلة بين يومي

30 و 31 أوت 1888 عندما سُرقت من متحف قرطاج 200 قطعة نقدية من الذهب والفضّة والبرونز تعود إلى عهود البونيقيين والقرطاجنيين والرومان والوندال و100 قطعة من الحجارة الكريمة (ياقوت، زمرد...) إلى جانب قطع صغيرة الحجم تعود إلى العهدين القرطاجني والروماني. ولم تستبعد «المجلّة العقاريّة التونسية» (4) الناطقة بالفرنسية التي أوردت الخبر أن يكون الجاني غادر تونس وأنّه قد يبحث عن فرص لبيع المسروق في عواصم كبرى.

تفكيك أوّل شبكة منظّمة

برزت سرقة الآثار كجريمة منظّمة في تونس في تسعينات القرن الماضي، وتمّ في سنة 1996 تفكيك أوّل شبكة، على إثرها أحدثت مصلحة المحافظة على الآثار والتحف صلب إدارة الشرطة العدلية. كوّن المدعو ق.ق هذه الشبكة بداية من سنة 1993 وتخصّصت في السرقة من المتاحف والمواقع الأثرية لتبيع القطع المستولى عليها في الخارج. في سنة 1998 سُرقت قطعة أثرية من متحف صفاقس استرجعت في سنة 2000 من بريطانيا، وفي سنة 2002 أمكن استعادة قطعة أخرى كانت سُرقت من متحف أوذنة في سنة 2000، ولم يكن التاجر الألماني الذي اقتناها يعلم أنّها كانت مسروقة.

بعد أن قضّى ق.ق فترة في السجن عادت الشبكة نفسها إلى الظهور في بداية سنة 2000 بتكتيك مغاير بعد أن استخلصت العبر ممّا جرى في السابق، فربطت علاقات بأشخاص يعملون في مواقع أثرية غير محروسة وقامت بعمليات تنقيب غير شرعية، وكانت هذه الشبكة تحظى بحماية عدد من أصهار بن علي. وكانت تعرض على الوسطاء في الخارج قطع ذات قيمة فنية عالية مستخرجة من الحفريات، وتعاون ق.ق سنة 2009 لترويج عدد منها مع تاجر ألماس W.T.V يعمل في جنوب أفريقيا. وكلّما علمت السلطات التونسية عن طريق الأنترنات وشبكات التواصل الاجتماعي بعمليات بيع قطع نفيسة في الخارج قد تكون سُرقت من البلاد، كانت تتدخّل لمنع بيعها، فتُمنح آجالا لإثبات مصدرها قبل التفويت فيها. وهناك من البائعين من كان يدّعي أنّ ملكية البعض من القطع تعود إلى معمّرين فرنسيين، في عهد الحماية. وقد حصل، حسب مصادرنا، أن عُرضت للبيع قطع تحمل أرقام الجرد!!

تمّ في سنة 2009 تفكيك الشبكة من جديد، وانطلقت الأبحاث من القاعدة إلى أن وصلت إلى ق.ق وإلى شخص آخر ذهب إلى الخارج. وبعد 14 جانفي 2011، عُثر على قطع أثرية نفيسة في بيوت عدد من أصهار بن علي من بينهم صخر الماطري وبلحسن الطرابلسي، وقد فُتحت بشأن هذه القطع قضايا عدليّة. ومن بين القطع التي عُثر عليها في حديقة بيت صخر الماطري قناع غورغون (masque de Gorgone) الذي استعادته السلطات الجزائرية من السلطات التونسية في أفريل 2014.

قضايا نهب الآثار على الصعيد الوطني*

السنة	قضايا تنقيب	قضايا اتّجار
2013	150	19
2014	126	41
2015	145	36
2016	119	20

* باشرتها وحدات الشرطة والحرس الوطني

قضايا باشرتها مصلحة المحافظة على الآثار والتحف

السّنة	قضايا تنقيب	موقوفون	محجوزات
2013	16	44	747 قطعة نقديّة 18 مخطوطا 3 آلات كاشفة للمعادن 4 قطع أصلية (فخّار منحوتات...) 13 قطعة مقلّدة
2014	28	22	34 قطعة أصلية 3 آلات كاشفة للمعادن كتاب مخطوط من متحف عبري
2015	35	28	365 قطعة نقديّة مزيّفة 12 قطعة نقديّة مقلّدة 34 قطعة أصليّة 18 قطعة مقلّدة
2016	17	11 منهم 9 بحالة سراح	52 قطعة من الفخّار

حجز 7000 قطعة أثرية ومخطوطات عبريّة

منذ سنة 2012 وإلى يومنا هذا حجزت السلطات الأمنية ما يناهز 7000 قطعة أثريّة، 80 بالمائة منها مقلّدة. غير أنّ ما يسترعي الانتباه من بين المحجوزات وجود مخطوطات عبرية ذات قيمة كبيرة، من بينها ثمانية موضوعة في صناديق خشبيّة كبيرة وكتب من الشرق دخلت إلى تونس عن طريق ليبيا والجزائر وكذلك مجلّد نقشت حروفه على الرصاص، وصل إلى فرنسا قبل أن يعود إلى تونس. إلى أين كانت ستذهب هذه المخطوطات؟ ومن كان سيقبل على شرائها بأموال طائلة؟

كما برزت في جهة تطاوين ظاهرة التنقيب عن الهياكل العظمية للديناصورات، وتصل قيمة الهيكل العظمي لهذا الحيوان الذي كان موجودا في عصور ما قبل التاريخ إلى حدود 6000 يورو، إلى جانب محاولات مشبوهة يقوم بها أجانب للتنقيب عن الآثار تحت غطاء جمعيات خيرية! كما لوحظ في الجنوب البحث عن الأحجار النيزكية (météorite) التي تباع بالغرام بالمزاد العلني بالخارج..

عبد الحفيظ الهرقام

1 - هنري دونان *(1828 ـ 1910)*، مثقّف إنسانوي من أصل سويسري، مؤسّس منظمة الصليب الأحمر. أقام بالجزائر ثمّ بتونس ستّة أشهر بين *1856* و*1857*.أصدر عن تونس سنة *1858* كتابا عنوانه *Notice sur la Régence de Tunis* حصل على الجنسية الفرنسية في *1859*.

2 - صدر الكتاب بجنيف ثمّ صدر بتونس سنة *2012* في *277* ص عن فرع منظمة الصليب الأحمر الدولية.

3 - ناتان دافيس *(1812-1882)* أصدر إثر إقامته بتونس ثلاثة كتب باللغة الأنقليزية :

- *Tunis, or Selection from a journal during a residence in that Regency Malta, 1861*
- *Carthage and her Remains, London, 1861*
- *Ruined Cities Within Numidian and Carthaginian territories, London, 1862*

4 - العدد *51* من مجلّة *Revue Foncière De Tunisie* *6* سبتمبر *1888*

AVEC VOTRE PLAN HORIZON, FRUCTIFIEZ VOTRE ARGENT EN TOUTE SÉRÉNITÉ

Rendement 2015

5,04%

net de frais de gestion

- Placement à **100 % Garanti**
  Vous bénéficiez d'un Taux Minimum GARANTI à vie
- Placement à **100 % Gagnant**
  Votre argent est fructifié à un taux de rendement performant
  Vous bénéficiez d'un cadre fiscal très attrayant
- Placement à **100 % Souple**
  Vous êtes libre de changer les montants et les fréquences de vos versements.
  Mieux encore votre argent reste disponible à tout moment.

... Vous faites le bon choix !

Assurances SALIM, l'assurance qui respecte ses engagements !

تأمينات سليم
ASSURANCES SALIM
Votre Protection...c'est notre métier !

Siège Social : Immeuble Assurances SALIM Lot AFH BC 5- Centre Urbain Nord - Tunis 1003
Tél.: (+216) 71 184 200 - Fax : (+216) 71 184 284
E-mail : commercial@salim-ins.com
Site Web : www.salim-ins.com

سرقة «غانيماد»...الصدمة

يوم 9 نوفمبر 2013، نزل خبر سرقة تمثال «غانيماد» من المتحف المسيحي المبكّر بقرطاج درمش نزول الصاعقة على القائمين على شؤون حماية التراث الأثري وعلى عديد التونسيين، فتحوّل اختفاء التمثال إلى قضية رأي عامّ. وقع الصدمة كان عنيفا، خاصّة وأنّ «غانيماد» قطعة فنيّة فريدة من نوعها في العالم، وتقدّر قيمتها، حسب البعض، بعشرة ملايين من الدنانير. وسرعان ما تعهّدت بالقضية مصلحة المحافظة على الآثار والتحف التابعة للإدارة الفرعية للقضايا الإجرامية بالقرجاني.

وأثبتت الأبحاث الأوليّة أنّ الجاني استغلّ تقصيرا في حراسة الموقع وحمايته للاستيلاء على التمثال بعد أن قام بكسر الصندوق البلوري الذي وُضع فيه إثر نقله من متحف قرطاج إلى المتحف الفرعي بقرطاج درمش، أي في المكان الذي اكتشف فيه عند إجراء الحفريات. أوقف خمسة حرّاس، لكنّ القضيّة ظلّت تراوح مكانها إلى أن بلغ إلى علم المصلحة بالقرجاني في نوفمبر 2015 أنّ الجاني عرض على شخص مقيم بالخارج شراء «غانيماد»، فطمع في ذلك نظرا للقيمة الأثرية والمالية العالية لهذه القطعة ، فتمّ إيقافهما، لكنّ كلاهما أنكرا حيازتهما للمسروق وألقى كلّ واحد منهما تهمة مسكه على الآخر، ممّا زاد في تشعّب القضية وتعقيدها. في الأثناء، لم يهدأ بال رئيس المصلحة المتعهّد بالقضية ع م ، فأضحى شغله الشاغل إماطة اللثام - بالتعاون مع أعوانه - عن مختلف أطوارها وقطع على نفسه عهدا بالكشف عن مكان إخفاء هذه القطعة النفيسة. الجاني معروف، وقد تورّط في السابق في قضايا إجرامية وليس من بين «اختصاصاته» سرقة الآثـار، فهو لا ينتمي إلى شبكة منظّمة ترتكب جريمة كهذه. عديد المؤشـــرات كانت تدلّ على أنّ التمثال لم يبارح تونس، فبيد من وقع؟ ذلك هو السؤال الذي استبدّ به إلى حدّ الهوس.

الطريق إلى «غانيماد»

أفضت التحريّات المعمّقة التي استعملت فيها وسائل بشريّة وتقنيّة شتّى إلى المسك بخيط سيوجّه البحث نحو تحديد هويّة الشخص الذي استلم «غانيماد»، - وهو يعلم جيّدا مصدره وقيمته - والكشف بالتالي عن مكان إخفائه. حبكت المصالح الأمنية بالقرجاني خطّة جريئة لاستدراجه بعد أن عُرض عليه مبلغ مغر لبيع التمثال. وفي حدود الساعة التاسعة والنصف من ليلة 26 جانفي الماضي، كان الأعوان على الميدان لتنفيذ الخطة التي لا تخلو من عناصر التمويه والإبهار، وفق سيناريو شبيه بسيناريوهات الأفلام البوليسية. اقتضت الخطّة أن يحضر لموعد رُتّب مسبقا شخص تبدو عليه مظاهر الثراء ويمتطي سيارة فخمة لإبرام الصفقة مع الذي أخفى القطعة الأثرية. كان الإثنان في الموعد، وما هي إلاّ لحظات حتّى تمّت مداهمة بيت في إحدى الضواحي الغربية للعاصمة حيث عُثر فيه على تمثال «غانيماد». بعد جهود مضنية في البحث والتقصّي استمرّت أكثر من ثلاث سنوات ، عاد ع. م إلى مكتبه بالقرجاني في حدود منتصف الليل، للقيام بالإجراءات الإدارية اللازمة لاستكمال ملفّ القضية ولوضع «غانيماد» في مكان آمن إلى أن تتسلّمه وزارة الثقافة والمحافظة على التراث.

كان يوم 26 جانفي 2017 يوما سارّا في حياة هذا الإطار الأمني الذي شغف - منذ تقلّده المسؤولية في سنة -1996 بقطاع الآثار وحمله حبّه لمهنته على تنمية ثقافته في مجالي التاريخ والتراث وتوسيع دائرة اطلاعه على ما له صلة بهما، ممّا مكّنه من أن يراكم تجارب ثريّة عزّزتها معرفة دقيقة للمعالم والمواقع الأثرية التي تزخر بها البلاد. سيبقى ذلك اليوم محفورا في ذاكرته وذاكرة كلّ من شارك في العمليّة من إطارات وأعوان. وسيظلّ النجاح في استرجاع إحدى نفائس التراث الأثري التونسي صفحة ناصعة في سجلّ إدارة الشرطة العدلية والهياكل التابعة لها من إدارة فرعية للقضايا الإجرامية ومصلحة للمحافظة على الآثار والتحف.. وما من شكّ في أنّ هذا النجاح يقيم الدليل مرّة أخرى على أنّ جهاز الأمن الوطني استرجع عافيته واستعاد فاعليته وأنّ جهوده لا تنصرف فقط إلى الحفاظ على الأمن العمومي والمساهمة في حماية الوطن من مخاطرالإرهاب والجريمة المنظّمة، بل تشمل كذلك السهر على أمن تونس الثقافي وصيانة كنوزها الأثرية التي لا تُقدّر بثمن.

تمثال «غانيماد»

هذا التمثال منحوت من المرمر الأبيض ويبلغ طوله 49 سنتمترا. وقع اكتشافه من قبل علماء أمريكيين في الآثار في موقع قرطاج درمش الأثري، سنة 1973، في إطار حملة اليونسكو «يجب إنقاذ قرطاج». رُمّم التمثال بعناية فائقة لجبر كسور طفيفة أصابته. يعود التمثال إلى القرن الخامس الميلادي، وهو نموذج لرفعة الفنّ الروماني في إفريقيا الرّومانيّة من الفترة القديمة المتأخّرة. يجسّم التمثال «غانيماد»، وإلى جانبه الإله «زيوس»، ربّ الآلهة الإغريقية في شكل نسر، وبجوارهما كلب وعنزة نائمة. وحسب الميثولوجيا الإغريقية، كان «غانيماد» ابن ملك طروادة، عشيق «زيوس»، وكان من أجمل الكائنات، لكنّ مصيره الزوال وبينما كان «غانيماد» يصطاد ذات يوم حمله «زيوس» الذي تحوّل إلى نسر إلى أعالي جبل الأوليمب ليجعل منه كائنا خالدا.

إجراءات أنجع لتعزيز الحماية

هناك من يعتبر أنّ الثغرات الموجودة في مجلّة التراث الأثري والتاريخي والفنون التقليدية الصادرة سنة 1994 ساهمت إلى حدّ ما في ما يسجّل من جرائم نهب الآثار والاتّجار فيها، وأنّ مراجعة عدد من فصولها بات أمرا ضروريّا، فضلا عن الإسراع بتحيين خرائط المواقع الأثرية البحرية وتعزيز حمايتها. وتذكر مصادر عليمة أنّ التراث تحت مائي الوطني يتعرّض هو الآخر إلى النهب، إذ أنّ العديد من المراكب ما فتئت تجوب المياه الإقليمية التونسية وعلى متنها غوّاصون يقومون باستكشاف قاع البحر لاستخراج نفائس منه، مستخدمين لتحديد المواقع وسائل تقنية جدّ متطوّرة.

وهناك أيضا من يطرح فكرة تبدو على غاية من الجرأة تتمثّل في السماح للمولعين خاصّة بجمع القطع الأثرية والتاريخية من شراء قطع تونسيّة مهرّبة تُعرض للبيع بالخارج، وإعادتها إلى البلاد فتُسجّل، وتُعرف بالتالي الجهات المالكة لها، وهي طريقة تضمن استرجاع نفائس من التراث الأثري وحفظ جانب منه لدى الخواصّ. وفي السياق نفسه، سجّلنا مقترحا آخر لا يقلّ جرأة يدعو إلى بيع قطع نقديّة ومنقولات أثريّة عجزت الوكالة الوطنية لإحياء التّراث عن حصرها وترسيمها في سجلّاتها، خاصّة وأنّ مثيلاتها موجودة لديه بالعدد الكافي، ممّا سيسمح للدولة بتوفير عائدات مالية في هذا الظرف الاقتصادي الصعب الذي تمرّ به البلاد.

وعلى صعيد آخر، سجّلنا نداء ملحّا إلى اتخاذ إجراءات أكثر نجاعة وصرامة لتعزيز حماية التراث الأثري والتاريخي في بلد يعدّ آلاف المواقع والمعالم الأثريّة التي تعكس عمق الانتماء إلى حضارات متعاقبة، وذلك بدعم القدرات البشرية لمصلحة المحافظة على الآثار والتحف التابعة للإدارة الفرعية للقضايا الإجرامية بانتداب مختصّين في القانون والتاريخ والآثار، خاصّة وأنّ جريمة سرقة الآثار والاتجار فيها تتطلّب معرفة دقيقة للآثار وأبحاثا على الميدان ومتابعة للمعلومة، علاوة على تكوين آليّة مشتركة للحماية تتكوّن من الأمن والحرس والديوانة والبحريّة، وخبراء في التراث.

محمّد زين العابدين

تراثنا الأثري في حاجة إلى الحماية والتّثمين

حملنا إلى السيد محمّد زين العابدين، وزير الثقافة وحماية التراث جملة من الأسئلة تتعلّق بإشكالات حماية التراث الأثري وصيانته، فكان لنا معه هذا الحديث:

ما هي خطّة وزارة الثقافة والمحافظة على التراث لحماية المواقع والمعالم الأثرية من النهب والسرقة ؟

في تونس قرابة 30 ألف موقع ومعلم أثري، ولكنّ المفتوح منها للعمـوم لا يتجاوز عدده 56 موقعا ومعلما. والمفارقة الكبرى تكمن في وفرة المواقع والمعالم وقيمتها من جهة، وإمكانيات استغلالها، من جهة أخرى. نواجه اليوم على الأقلّ ثلاثة إشكالات:

1 - في مستوى الموارد البشرية المخصّصة للحراسة والحفريات وفرق البحث التي عادة ما تتبع المعهد الوطني للتراث،

2 - في مستوى تثمين هذا التراث بما يجعله مفتوحا للاستغلال العام،

3 - تواضع نسبة إشـراف الوزارة على هذا الكمّ الهائل من المواقع والمعالم، فمسؤولية الإشراف عليها موزّعة بين أطراف مختلفة ونعني: وزارة الثقافة والمحافظة على التراث ووزارة الشؤون الدينية وكتابة الدولة المكلّفة بأملاك الدولة، وبعض هذه المواقع والمعالم يتبع البلديات

وبعضها الآخر الولايات. هناك ضبابية حقيقية في تعهّد وصيانة هذا الموروث الهامّ الذي يجب التصرّف فيه بعد ستة عقود من الاستقلال بأكثر ترشيد، انطلاقا من مسؤولية كلّ طرف في إشرافه المباشر الخاصّ بهذا الموروث الحضاري، علما وأنّ وزارة الثقافة والمحافظة على التراث، في سياق ما هو مفتوح من هذه المواقع والمعالم، مقصّرة في ما يمكن أن تقدّمه إذا أردنا تثمينا إيجابيا لهذه الذاكرة الوطنية الضاربة في التاريخ .

مسؤولية المعهد الوطني للتراث مسؤولية علمية من خلال فرق البحث، في حين أنّ مهمّة الوكالة الوطنية لإحياء التراث الاستغلال والتثمين. والحقّ يقال يشهد هذا القطاع في بعض الأحيان تناقضات بين تدخّل هذا الهيكل أو ذاك. لذلك نحن بصدد إعداد مشروع قانون يتعلّق بالمتاحف بالإضافة إلى اتفاقية تحدّد بوضوح مسؤولية المعهد في علاقتها بمسؤولية الوكالة. كما نعدّ لنصوص قانونية جديدة من أجل ترشيد أفضل للتراث والآثار، بما في ذلك التراث المادّي واللامادي.

وماذا عن وسائل حماية التراث الأثري المتوفّرة حاليّا ؟

نسبة الحماية ضعيفة. نعمل على توزيع أحسن للحرّاس في المواقع. لنا 15 موقعا مجهزا بتقنيات التأمين الذاتي كالكميراهات. نحن بصدد توفير ما يمكن توفيره من وسائل الحماية، حسب إمكانيات الوزارة، وخاصّة من خلال صيانة عدد من المواقع ومدّ المتاحف بشبكة من أدوات المراقبة االإلكترونيّة علما وأنّ تعميم المراقبة على كلّ المواقع يستوجب اعتمادات ماليّة هامّة.

أزمة السياحة أدّت إلى تقلّص عائدات الوكالة الوطنية لإحياء التراث، اعتبارا إلى أنّ نسبة كبيرة من زوّار المواقع الأثرية هم من السيّاح. منذ سنة لاحظنا بعض المؤشرات الإيجابية لانتعاشة نسبية للسياحة، وارتياد عدد من السواح للمواقع والمعالم الأثرية، ممّا خلق ديناميكية نأمل أن تستمرّ، فاسترجاع هذا القطاع لسالف نشاطه له بالغ الأثر في تنمية موارد الوكالة، ممّا يمكّن من تطوير برامج تثمين التراث الأثري وحمايته. تونس تزخر بالآثار والمعالم التاريخية التي تقوم شاهدا على ثراء مخزونها الحضاري ومساهمتها في المدّ الإنساني، وهو ما يستوجب ، في مجال التراث ، سياسة مغايرة وإمكانيات وموارد أكثر ممّا هو موجود حاليا.

ما رأيكم في إنشاء آلية تنسيق تتشكّل من عناصر من الأمن والحرس والبحرية والديوانة ومن خبراء في مجال الآثار؟

إنشاء هذه الآلية التي تيسّر التنقّل عبر المواقع والمعالم الأثرية لحمايتها فكرة جيدة طرحها السيد وزير الداخلية، ورحّبت بها.

هل فكّرتم في مراجعة مجلّة التراث الأثري والتاريخي والفنون التقليدية الصادرة سنة 1994 لسدّ بعض الثغرات ؟

نعم، فكّرنا خاصّة في مراجعة الهيكلة القانونية للمعهد الوطني للآثار والوكالة الوطنية لإحياء التراث، بما يمكّن كلّ مؤسسة من الاضطلاع بدور يتكامل مع دور المؤسسة الأخرى، بعيدا عن التناقض أو الضبابية في المهامّ. لا بدّ من تصوّر جديد، قد يتمثّل في دمج المؤسستين، لكنّ العديد من المختصين يرفضون هذه الفكرة، نظرا لاختلاف الطبيعة القانونية بينهما.

فالمعهد مـؤسسة عمومية ذات صبغة إدارية والوكالة مؤسسة عمـوميـة لا تكتسي صبغة إدارية، لها موارد ذاتية وللعاملين فيها امتيازات لا يتمتّع بها العاملون في المعهد. لكننا نعتبر أنّ الأعمال المنوطة بعهدة المعهد تستحق اعتمادات ماليّة كبرى.

حاوره عبد الحفيظ الهرڤام

حماية المتاحف والمجموعات الأثريّة والتّاريخيّة والاثنوغرافيّة وتثمينها

اعتبارا للقيمة الأثرية والعلمية لرصيدنا الوطني الأثري والتاريخي الفريد وتنوع أنماطه وفنونه، سعى المعهد الوطني للتراث إلى أخذ التدابير الوقائية الكفيلة بتأمين وسلامة المؤسسات المتحفية وحفظ المجموعات الأثرية والتاريخية وحماية تراثنا المنقول جردا وترميما وتوثيقا واقتناء وعرضا، فشرع في تعزيز استراتيجيات العمل في هذا المجال منذ سنة 2011، إبّان الثورة التونسية التي عقبتها حالة من الانفلات الأمني وضعف الرقابة الإدارية على عديد المواقع والمعالم والمتاحف التونسيّة، ضمانا لسلامة مخزوننا الأثري من كل ما من شأنه الإضرار العفوي أو القصدي به بالإتلاف أو الطمس أو السرقة أو الاتجار غير المشروع فيه، حتى تبقى خير شاهد على عراقة حضارتنا وديمومتها على مرّ العصور.

إنّ هذه الاستراتيجيات تنبني أساسا على المحاور الرئيسية التالية:

الجرد والتوثيق والحفظ الوقائي والإلكتروني

عرف مشروع الجرد المعلوماتي للمجموعات المتحفية نقلة نوعية تمثلت في ربط عدد من المتاحف بشبكة الإنترنات ووصلها بمركز معلومات رئيسي وضع بمقر دائرة التنمية المتحفية بالمعهد الوطني للتراث. وقد شملت المرحلة الأولى من هذا المشروع عددا من المتاحف الوطنية الكبرى على غرار متاحف باردو وقرطاج وسوسة قبل السعي إلى استكمال هذا العمل ليغطي كافة المتاحف، إضافة إلى توفير كل المعطيات والمعلومات التي تعرف بالمتاحف على شبكة الإنترنات على غرار ما هو معمول به دوليا واستكمال مشروع فهرسة وإحصاء وترميم المجموعات المتحفية الهادف إلى تطوير منظومة الجرد الرقمي لكامل المجموعات الأثرية والاثنوغرافية الوطنية.

ترميم المجموعات المتحفيّة

يقوم المخبر المركزي التابع للمعهد الوطني للتراث بجهود حثيثة في مجال ترميم القطع الأثرية والتاريخية الموجودة بكافة المتاحف ومخازن التراث بالجمهورية التونسيّة وفق أساليب علمية حديثة. ويشرف على إنجاز هذه التدخلات الدقيقة فريق مختص من الإطارات من ذوي الخبرة والاختصاص بما يخوّل إعادة البريق إلى القطعة والمحافظة على حالتها وضمان ديمومتها عبر السنين قبل عرضها بالمتاحف أو حفظها بالمخازن الوطنيّة المعدّة للغرض.

العرض المتحفي

حرصت مشاريع إعادة التهيئة التي شملت عددا هاما من المتاحف الوطنيّة ومشاريع بعث متاحف جديدة بكل من سليانة وسيدي بوزيد على مراعاة الاستجابة للمعايير والضوابط المرجعية المعمول بها في المتاحف العالمية في مجال الحراسة والتأمين والسلامة وهو ما تجسّد خاصة في إيلاء اهتمام وأولوية أكبر لاستكمال مشروع منظومة تأمين وسلامة المتاحف بتركيز جملة من أجهزة الإنذار ضد السرقة والحرائق والمراقبة الإلكترونية قصد تجاوز النقص الذي تشكوه المتاحف في الزاد البشري المخصّص للحراسة واقتناء أجهزة اتصال لاسلكي وأجهزة كشف المعادن ومراقبة السيارات وتوزيعها على مختلف متاحف الجمهورية وعلى شبكة الإنارة والإضاءة الداخلية والخارجية بالمتاحف ومحيطها وإبرام عقود صيانة ومتابعة لضمان حسن عمل مختلف الأجهزة المركّزة بالمتاحف مع شركات مختصة.

التشريعات القانونيّة

تعكف اللجنة المختصة التي تم إحداثها بمقتضى القرار الصادر عن وزير الشؤون الثقافيّة والمتكونة من خبراء في القانون ومختصين في المجال المتحفي حاليا على إتمام إعداد مشروع النص القانوني الخاص بالمتاحف والذي سيعرض للمناقشة والإثراء خلال ندوة علمية تقنية ستنتظم في الغرض خلال شهر مارس القادم، قبل صياغة مشروع نصّه النهائي والمصادقة عليه. وسيمكن هذا القانون من تسهيل التسيير والتصرف في المتاحف عمومية كانت أو خاصة.

الطاهر غالية

QNB

qnb.com.tn

نبـــض الحياة و«نزه

1- يذكر المستشرق«كراتشكوفسكي إغناطيوس» (تـ 1951)، أحد مؤسسي مدرسة الاستشراق الروسي في كتابه «تاريخ الأدب الجغرافي العربي»في حديثه عن كتاب «نزهة المشتاق» للرحالة والجغرافي العربي الشريف الإدريسي (تـ 556 هـ/ 1166م) أنه «أفضل رسالة في الجغرافيا وصلتنا عن العصور الوسطى سواء من الشرق أو الغرب، وعلى هذا الحكم يقف الآن إجماع آراء المستعربين ومؤرخي الجغرافيا على السواء».

ألّف الإدريسي كتابه «نزهة المشتـــاق في اختـــراق الآفـــاق» المعـــروف بـ«كتاب روجر» استجابةً لطلب «روجر الثاني» (تـ 1154م) ملك صقلية بعد سقوط حكم المسلمين في الجزيرة. ضمّن الإدريسي كتابه ما عرفه الأقدمون من معلومات سليمة مضيفا مكتسباته هو وما رآه ورصده في رحلاته واختباراته عن المدن الرئيسية في العالم وعن اتجاهات الأنهار والبحيرات والمرتفعات إضافة إلى معلومات خاصة بحدود الدول وخرائط مميزة أكسبت الكتاب صبغة موسوعية لجغرافية العالم في القرن الثاني عشر. لذلك صار الكتاب مرجعاً لعلماء أوروبا مدة زادت على 300 سنة وأداةً هامة في سائر كشوف عصر النهضة الأوروبية. كانت هذه إحدى خلاصات نبض الحياة الحضارية للمسلمين قبل أن تنكفئ شعلتها ويخمد توقها للمعرفة والترحل للتعارف.

2- هل نستغرب بعد هذا إن أطلقت مدرسة الجغرافية بجامعة كلارك بشمال أمريكا اسم الإدريسي (Idrisi) على أحد برامجها الحديثة المتداولة تسويقياً عالمياً في مجال نظم المعلومات الجغرافية مشيرة في أدلة البرامج أن هذا اعتراف منها بجميل هذا العالِم وتثمين لأهمية الرحلة والاكتشاف والتواصل.

يتأكد هذا المعنى لما بين الرحلة والتمدّن والمعرفة من تقاطع حافز للإنسان على الدهشة، الدهشة أمام المألوف الذي يغدو أمام المفكّر والفيلسوف كما هو شأن المترحّل موضوعَ حيرةٍ و تساؤل. لذلك فقد نُسب إلى أرسطو قوله: «إن الدهشة هي التي دفعت إلى التفلسف» يدعمه في ذلك رأي شوبنهاور (Schopenhauer) في أن دهشة الفيلسوف تنزع عما يُعتبر عاديا من الأمور حُلّـة البداهة لتتحوّل بذلك إلى قضية إشكالية تستدعي فهما جديدا مختلفا.

كذلك شأن الرحلة، فيها يكتشف الإنسان بحقّ أنه « أكثر الموجودات دهشة». إنه يقف، عند خروجه من عالمه الصغير الذي اعتاده، متسائلا نتيجة ما يواجهه من الظواهر وأنماط الحياة المألوفة عند غيره لكنها تكون بالنسبة إليه لغزا محيّرا. من مغادرته للمعهودية التي اعتادها يتبين الرحالة أن الدهشة تتطلب درجة عالية من العقل لأنها تضعه أمام معطيات جديدة لا يعرف كيف يصنّفها أو يتعاطى معها. من ثم تأتي الحاجة الأكيدة للمراجعة العميقة نتيجة ما تعنيه تلك المستجدّات من تحدّ لمعارفه وما تواضع عليه واقعُه.

3- لهذا فلا يُستغرب من حضارة ذات توجّه كونيٍّ غالبٍ كالحضارة العربية الإسلامية أن يكون لها هذا الشغف بشدّ الرحال لما تعنيه الرحلة من حرص على معرفة الآخر المختلف وما تفيده تلك المعرفة من استكشاف ومراجعة وتوسيع للأفق. من ثمّ كانت ظاهرة الرحالة العرب والمسلمين لافتة للنظر لأنها امتدت من القديم إلى الحديث وصوب اتجاهات وعوالم متباينة ونائية.

لقد زار يحيى الغزال (القرن 3 هـ - 9 م) بلاد النورمان و تنقّل بعده الطرطوشي القرطبي (4 هـ - 10م) بين بلدان شرق أوروبا وألمانيا وبلاد صقالبة الغرب كما التقى بالبابا يوحنّا الثاني عشر. في ذات القرن اتّجه ابن فضلان من المشرق إلى بلغاريا وروسيا بعده كان الشريف الإدريسي المغربي (6 هـ - 12م) يزور سواحل فرنسا وأنكلترا مع إقامة في صقلية في ضيافة ملكها روجر. مع ابن بطوطة (8 هـ - 14م) كانت الرحلة إلى الهند والصين وبلاد التتار وأواسط إفريقيا.

في الفترة الحديثة تعزّزت الرحـــلات مع التيجـــاني (12هـ - 18م) ثم الطهطاوي والأفغاني وخير الدين والسنوسي مؤكدة- في سياق مختلف- تلك النزعة العريقة القائمة على قيمة التعارف من أجل التحفز الحضاري المواجه لما يعتري المجتمعات الإنسانية من أعراض الفتور والانغلاق.

4- في هذا لا ينبغي أن نذهل عن أمرين أساسيين: أوّلهما أن هذه النزعة لمعرفة المختلف المنطلقة من العالم العربي الإسلامي خاصة في الفترة الحديثة لا يمكن أن تُدرس بمعزل عن ظاهرة الاستشراق المناظرة لها والمختلفة عنها في الطبيعة والغايات. فإذا كان المستشرقون قد جابوا بلاد الشرق وتعلّموا لغاته وتعرّفوا على تراثه فحققوه ونشروه إنما كانوا يفعلون ذلك من موقع القوة والحرص على التحكم في خارطة العالم ومصادر العلم. كان عموم الخطاب الاستشراقي قائما على مركزية

ـة المشتـاق»

بقلم د. احميده النيفر • رئيس رابطة تونس للثقافة والتعدّد

ثقافية تقدّم للغرب صورة عن الشرق تلائم مطامعه التوسعية ونزوعه لامتلاك العالم في واقعه المعيش وفي تاريخه وحضارته.

أما الباعث للرحالة العرب والمسلمين في اهتمامهم بالآخر فلم يكن إيديولوجيَّ الطبيعة ولا توسعيَّ الغايات.كان الحرص على الرحلة إلى العالم والغرب الحديث خاصة استكشافيا لا تنميط فيه للآخر بل هو بحث عمراني عن عوامل النهوض والحيوية. بذلك جاز القول إن الرحالة العرب والمسلمين كانوا مسكونين بالشغف الحضاري والحرص على الاستزادة من العلم وتمثل تجارب الآخرين. إنه تحويل الدهشة إلى وعي أوسعَ يحقق مزيدا من المتعة والارتقاء.

الأمر الثاني الذي لا ينبغي أن نغفل عنه أن ارتياد الآفاق لم يقتصر على الخارج بل كان داخليا أيضا. رحلة ابن جبير الأندلسي (6 هـ - 12م) قادته إلى المشرق العربي مستفيدا منها ومسجّلا معلومات وأخبارا تعبّر عن قوة انتباهية في تقييم ما يجري في مراكز العالم العربي الإسلامي وأطرافه. وراء الطريف والغريب الذي تتيحه الرحلات الداخلية التي تفيد الباحث في مجالات الاجتماع والحضارة تبرز قيمة أعمقُ فيما يتحقّق من وعي بالذات يفتح باب المراجعات النقدية للداخل الثقافي الخاص.

5- أفضل مثال يمكن تقديمه عن هذه الخاصية الثانية لأدب الرحلة في الحضارة العربية الإسلامية نستقيه من كتاب محمد بن فتوح الحميدي (تـ 488 هـ- 1095م)، « جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس». فيه نقف على شهادة رحالة مغاربي عند وصوله من ديار المشرق يروي فيها لجمع من علماء القيروان ما عاينه في بغداد من أحوال مجالس العلم. أجاب سائلَه عن حضوره مجالس أهل الكلام؟ فقال : بلى، حضرتهم مرتين، ثم تركتُ مجالسهم ولم أعد إليها. فقيل له: ولِمَ؟ قال : أما أول مجلس حضرته فرأيته مجلسا قد جمع الفرق كلها: المسلمين من أهل السنة والبدعة، والكفار من المجوس، والدهرية، والزنادقة، واليهود، والنصارى، وسائر أجناس الكفر. ولكل فرقة رئيس يتكلم على مذهبه، ويجادل عنه. فإذا جاء رئيس من أي فرقة كان، قامت الجماعة إليه قياما على أقدامهم حتى يجلس، فيجلسون بجلوسه. فإذا غصَّ المجلس بأهله، ورأوا أنه لم يبق لهم أحد ينتظرونه، قال قائل من الكفار: قد اجتمعتم للمناظرة، فلا يحتج علينا المسلمون بكتابهم، ولا بقول نبيّهم، فإنّا لا نصدق بذلك ولا نقرّ به، وإنما نتناظر بحجج العقل، وما يحتمله النظر والقياس، فيقولون : نعم، لك ذلك. قال: فلما سمعتُ ذلك لم أعد إلى ذلك المجلس، ثم قيل لي : ثَـمّ مجلس آخر للكلام، فذهبت إليه، فوجدتهم مثل سيرة أصحابهم سواء، فقطعت مجالس أهل الكلام، فلم أعد إليها. قال أبو زيد القيرواني: ورضي المسلمون بهذا من الفعل والقول؟ قال الرحالة: هذا الذي شاهدته منهم. فجعل أبو زيد يتعجّب ويقول: ذهب العلماء، وذهبت حرمة الإسلام وحقوقه، كيف يبيح المسلمون المناظرة بين المسلمين والكفار؟ إنما يدعى من كان على بدعة إلى الرجوع إلى السنة والجماعة، فإن رجع قُبل منه، وإن أبى ضُربت عنقه. أما الكفار فإنما يدعون إلى الإسلام، فإن قبلوا كفّ عنهم، وإن أبوا وبذلوا الجزية في موضع يجوز قبولها كف عنهم، وقُبِل منهم؛ وأما أن يناظروا على أن لا يُحتجّ عليهم بكتابنا، ولا بنبيّنا، فهذا لا يجوز، فـ«إنّا لله وإنا إليه راجعون».

6- هذه شهادة دالّة على أكثر من معنى لكن المؤكد فيها أن الرحلات إلى الداخل تعدّ مكاشفات مدهشة يتوقف عندها كل عقل حصيف وحسّ وقّاد لما يجده فيها من نبض الحياة الذي لا يتوقّف في أي مجتمع حيّ. من هنا يمكن القول إن الأسفار إلى الخارج أو إلى الداخل هي طريق لفهم جديد للعالم وللذات. إنها، حسب الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي، الأسفار التي تحقّق الإِسْفارَ لأنها طريق موصلة إلى المعرفة المتجاوزة لظواهر الأشياء..

ا.ن.

لماذا المدارس العربية في تونس؟

خالد الشابي

مثّل احتمال العودة إلى الوطن في أيّ وقت، وقد يكون دون سابق إنذار، هاجسا يؤرق العرب الأولياء من الجاليات العربية المقيمة في تونس لعلاقته بمشكل تعليم أبنائهم، لذلك حرصوا بالتعاون مع السفارات أو المنظمات العربية في تونس وبالتنسيق مع وزارة التربية التونسية على إرساء مدارس تؤمن التعليم لأبنائهم وبناتهم وتقدم لهم المناهج المدرسية التي تدرّس في أوطانهم أو القريبة منها. ومن هنا يلوح في الأفق السؤال القديم المتجدّد: أيّ واقع تعيشه المدارس العربية في تونس؟ وما دورها في الحفاظ على الرابط التربوي بين أبناء الجاليات العربية وبين مجتمعهم الأم في ضوء اندماجهم في المجتمع التونسي الذي يعيشون فيه؟

نظرا إلى أنّ المنهج التعليمي التونسي يختلف عن مناهج البلدان العربية ولأنّ المناهج الأصلية للتعليم في البلدان العربية وخاصة بالمشرق والخليج العربي تدرس باللغة العربية وتعتمد اللغة الانقليزية كلغة أجنبية أولى، يختار أبناء الجاليات العربية في تونس المدارس التي توفّر لهم فرصة التعليم باعتماد مناهج قريبة من مناهج بلدانهم حتى يستطيعوا الالتحاق بالمدارس الحكومية أو الجامعات الحكومية في بلدانهم والاندماج فيها عند عودتهم النهائية إلى أوطانهم .

واقع المدارس العربية في تونس

أحصينا في تونس حاليا ستّ مدارس عربية، تغطّي مراحل التعليم الابتدائي والاعدادي والثانوي، أربع مدارس منها ليبية وتدرّس المنهج الليبي بإشراف وزارة التربية الليبية (3 منها حكومية تحت مسمّى «المدرسة العربية الليبية»موجودة في تونس والحمامات وصفاقس وواحدة خاصة في العاصمة) ومدرسة عراقية في العاصمة تدرّس المنهج العراقي و«المدرسة العربية» التي تدرّس المنهج الأردني ومقرها العاصمة أيضا. وتعتبر المدرسة العراقية الأقدم حيث أحدثت سنة 1979 تحت رعاية السفارة العراقية بتونس وكان تأسيسها حسب السيد مدير المدرسة د. محمد شمة علي «في إطار تطبيق قرار سياسي عراقي منذ سنة 1970 يقضي بفتح مدارس عراقية في الخارج لخدمة الجاليات العراقية والعربية تموّلها الدولة

العراقية لكن الظروف التي مرّت بها العراق قلّصت من عدد تلك المدارس وأصبح تمويلها ذاتيا ولا يُنتدب من العراق فيها سوى مديرها». أمّا المدرسة العربية والموجودة أيضا في العاصمة فقد أكّد مديرها السيد حامد الحرابي أنّها «أنشئت بقرار من مجلس جامعة الدول العربية سنة 1986 عند انتقال الجامعة وعديد المنظمات العربية إلى تونس ففكّرت الجامعة في إحداث مدرسة لتأمين تعليم أبناء موظّفي تلك المنظمات وتمّ الاتفاق مع الألكسو على اعتماد المنهاج الأردني في التدريس نظرا لتشابهه مع أغلب مناهج الدول العربية في المشرق العربي وفي الخليج العربي وتتولّى وزارة التربية الأردنية تقديم الدعم للمدرسة من حيث تدريب المدرّسين وتقديم الكتب المدرسية مجانا والدعم المادي ومن حيث الإشراف التربوي».

وبخصوص المدرسة الليبية الأحدث والتي تشرف عليها مباشرة الملحقية الثقافية بالسفارة الليبية بتونس فقد انطلق عملها منذ السنة الدراسية 1999 – 2000. والغاية من إحداث المدارس الليبية حسب السيد عبد الله السنوسي الملحق الثقافي المساعد لشؤون المدارس بالسفارة الليبية بتونس هي «تدريس المنهج الليبي لأبناء الجالية الليبية والعربية في تونس وفتح المجال للدراسة لأبنـــاء العرب الذين كانوا يشتغلون في ليبيا». وقد تطـــوّرت المدارس الليبية بعد الثورة وارتبطت أعـــداد التلاميذ فيها بالأوضاع العامة في ليبيا بعض التونسيين الذين كانوا يشتغلون في البلاد العربية وخاصة في الدول الخليجية وعادوا إلى تونس نهائيا. فبوجود تلك المدارس لم يعد هؤلاء قلقين على تعليم أبنائهم، وكانت عاملا مهمّـــا في استقرارهم في تونس. كما شجّعت تلك المؤسسات التربوية المستثمـــرين العـــرب على الاستثمار والاستقرار في تونس وحفّزت الكفاءات التـــونسية على العمل في البلاد العربية وتسجيل أبنـــائها في المدارس الحكـــومية هنـــاك ثم في إحدى المدارس العربية عند عودتهم إلى تونس إذا وجـــدوا صعوبة في الاندماج في المدرسة التونسية .

لتصبح خمس مدارس سنة 2013-2014 يؤمها 446 طالبا ثم 1669 طالبا سنة 2014-2015 وأصبحت عدد المدارس3 سنة 2015-2016 مسجلا فيها 1266 طالبا .

من المستفيد من هذه المدارس؟

يستفيد من هذه المدارس أبناء العاملين في السلك الدبلوماسي والعاملين في المنظمات العربية والاقليمية والدولية الموجودة في تونس وكذلك المستثمرين العرب فيها والطلبة العرب الموفدين للدراسات العليا في الجامعات التونسية وأبناء العرب الذين يقيمون ظرفيا في تونس للعلاج وموظفي الشركات وأصحاب المهن الحرة ورجال الأعمال العرب الذين لهم مصالح في البلاد التونسية وأبناء

وبالنسبة إلى السنة الدراسية الحالية 2016-2017 تقدّم المدارس العربية جميعها خدمات تعليمية وتربوية وأنشطة تثقيفية لـحوالي 1400 تلميذ من الجنسين (ما يقارب 1000 تلميذ في المدارس العربية الليبية، علما أنّ المدرسة الليبية في العاصمة تعمل بإدارتين صباحية ومسائية نظرا لكثافة عدد التلاميذ، وفي حدود 250 في المدرسة العربية، وحوالي 150 في المدرسة العراقية) وهذا العدد يتغيّر من سنة إلى أخرى بل وقد يتغيّر خلال السنة نفسها. فبالنسبة إلى التلاميذ الليبيين مثلا يتغيّر العدد تأثّرا بالظروف في ليبيا أو بنوع المستفيدين.

وفي حين لا يتجاوز عدد التلاميذ التونسيين في هذه المدارس جميعها 37 تلميذا فإنّ بقية التلاميذ ينتمون إلى كل الجنسيات العربية، إضافة إلى بعض الجنسيات غير العربية حيث تضمّ المدرسة العراقية مثلا تلاميذ من الهند وباكستان وتركيا (حوالي 5% من جملة التلاميذ) بالإضافة طبعا إلى التلاميذ العرب . ويعمل في هذه المدارس مدرّسون تونسيون ومن جنسيات عربية ويبلغ عدد المدرّسين حوالي 200 مدرس غالبيتهم من التونسيين فمنهم من يعمل بصيغة التعاقد الشخصي ومنهم من يعمل في شكل إعارة وهذا الشكل الأخير يهمّ فقط «المدرسة العربية»، التي لا تشغّل سوى المدرسين التونسيين من بينهم 8 معارين عن طريق التعاون الفني والبقية متعاقدون .

تعليم وجسر تواصل

لم تقتصر مهمّة المدارس العربية في تونس على التربية والتعليم فحسب بل تجاوز ذلك، فهي بمثابة منابر ثقافية تسهم في توطيد الروابط بين الأشقاء العرب وفي بناء التآلف والتحابب بين أبناء مختلف الأقطار العربية مما أسّس صداقات بين العائلات وقرّب بينها، كما عملت وبشكل فاعل على التقارب الثقافي والفكري والتعايش بين جنسيات متعدّدة. ومثّلت أيضا جسر تواصل مع العديد من المؤسسات الثقافية والتربوية في تونس وخارجها. وتلعب تلك المدارس دورا مهمّا في تأطير تلاميذها. فالتلميذ العربي في هذه المدارس لا يعيش الازدواجية الثقافية التي يعيشها زميله

الذي يدرس في مدرسة مشابهة في أوروبا. ولكل مدرسة برامجها الثقافية الخاصة بها. لكنها تنظّم برامج ثقافية ومباريات رياضية فيما بينها ومع مدارس أخرى، غير أنّ عديد المسابقات والأنشطة مع المدارس الأجنبية تعطّلت بعد الثورة بسبب الظروف الأمنية .

الآفاق بعد المدرسة

بعد الحصول على الثانوية العامة (البكالوريا) يقبل تلاميذ المدارس العربية في الجامعات التونسية الحكومية، لكن هذا الاجراء لا يطبّق حسب مدير المدرسة العراقية على التلاميذ التونسيين خريجي المدرسة العراقية . ولمّا سألنا د. محمد شمة علي مدير المدرسة عن السبب أشار إلى أنّه « يعود إلى الاتفاقية الثقافية بين البلدين التي تمّ تفعيلها بتونس سنة 2013 ثم صادقت عليها الحكومة العراقية في حين لم تصادق بعد الحكومة التونسية عليها». وأضاف أنّه «يتخرّج من المدرسة العراقية سنويا ما بين 60 و 100 طالب ولم يُقبل منهم مثلا في السنة الدراسية الماضية في التعليم العالي في تونس سوى ثلاثة والبقية إمّا يسجّلون في الجامعات الخاصة أو يضطرون إلى الدراسة في جامعات أجنبية».

وعبّر عن اعتزازه بالمدرسة التي لها من الطلبة القدامى من يتبوّأ حاليا مناصب عليا في بلدانهم منهم الوزير والمسؤول الكبير وهناك طالب تونسي من خريجي المدرسة يعمل حاليا في وكالة الفضاء الأمريكية «الناز». وحسب السيد عبد المنعم أحمد ارجيعة مدير المدرسة العربية الليبية بالعاصمة فإنّه «يسمح لطلاّب المدرسة الليبية الحاصلين على الثانوية العامة (البكالوريا) بالدخول إلى الجامعات التونسية وفق الإجراءات المعتمدة في وزارة التعليم العالي التونسية كما يُقبلون أيضا في الجامعات الليبية». وأضاف قائلا : «إنّ الطالب الليبي يتمّ التعامل معه مثل الطالب التونسي وإنّ شهاداتنا لا تخضع للمعادلة لذا يسجّل خرّيج المدرسة الليبية بعد الثانوية العامة في الجامعات التونسية دون معادلة». أمّا بالنسبة إلى «المدرسة العربية» فهناك حسب مديرها السيد حامد الحرابي «معادلة آلية مع البكالوريا التونسية تسمح للخرّيجين منها بالتسجيل في الجامعات التونسية بصورة عادية وخاصة أبناء الموظفين القارين المقيمين في تونس ويبلغ عدد الذين يسجّلون في الجامعات التونسية نصف الخرّيجين تقريبا ويُختار النصف الآخر الدراسة الجامعية خارج تونس». ويؤكّد السيد الحرابي أيضا «أنّ الخرّيجين من المدرسة العربية يثنون على التعليم الذي تلقوه فيها ومنهم من يتحمّل حاليا مسؤوليات كبيرة في بلدانهم ويزورون المدرسة عند مجيئهم إلى تونس».

الدعم التونسي

أكّد المسؤولون عن هذه المدارس أنّهم يلقون التشجيع والدعم من الدولة التونسية. فحسب السيد حامد الحرابي «كانت الحكومة التونسية تضع على ذمّة المدرسة أساتذة تونسيين وتتكفّل بدفع رواتبهم لأنّ هذه المدرسة ليست قطْرية وإنّما هي قومية وتابعة لمنظمة قومية هي الجامعة العربية وتواصل ذلك حتى سنة 1998، ولما أصبحت المدرسة تعتمد في تمويلها على الرسوم الدراسية وفّرت الحكومة التونسية مقرا للمدرسة في إطار دعمها للجامعة العربية. كما تستفيد المدرسة من مدرّسين تونسيين معارين لديها عن طريق التعاون الفني».

أمّا السيد عبد الله السنوسي فيؤكّد «أنّ أساس توسيع تركيز المدارس الليبية في تونس يعود إلى تعاون تونس ودعمها للجالية الليبية في تونس أثناء فترة ثورة فيفري وتسهيلها أمور الدراسة لأبناء الجالية الليبية للتخفيف من حدّة الوضع عليهم». كما أثنى مدير المدرسة العراقية د. محمد شمة علي على الدعم الذي تلقاه المدرسة من لدن السلطات التونسية .

وتبقى المدارس العربية في تونس صرحا مهمّا يقدم خدمات علمية وثقافية واجتماعية قيّمة لأبناء الأشقاء العرب في البلاد التونسيّة وهي تمثّل رصيدا مهمّا لها من محبّيها خارج الوطن..

خ.ش.

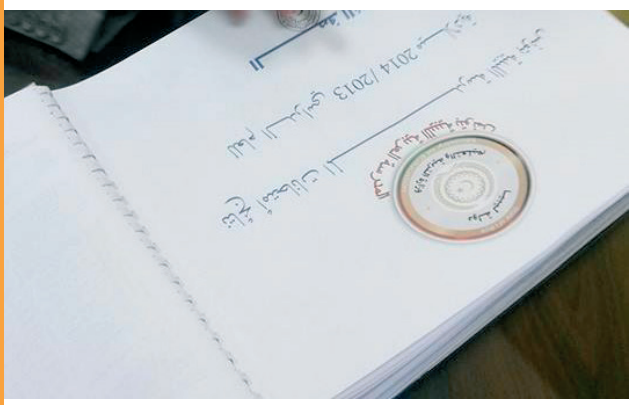

www.atb.tn

#BIBANE_ELKHIR

Epargne الخـــيـــر

مع إدخار

الخيـــر ...

تـتحلّى

بـيبـان الخير

Crédit SAKAN

Avec un peu d'épargne, réalisez vos rêves et concrétisez vos projets… Fructueuse, disponible et généreuse… Epargne El khir vous donne accès au crédit qui vous convient, aux meilleures conditions.

سبّق الخير... تلقى الخير بزايد.

ATB

البنك العربي لتونس

Des professionnels à l'écoute

ATB TUNISIE

FCA!

شركة عقارية قمرت
شركة خفيّة الإسم رأس مالها 000 000 1 دينار
مقرّها الاجتماعي: عمارة الكرامة القابضة بحيرة أناسي
ممرّ بحيرة الملاوي ضفاف البحيرة 1053 تونس
المعرّف الجبائي: 425194L/P/M/000
الهاتف: 218 962 71 216+ أو 100 960 71 216+
الهاتف الجوال: 000 910 98 216+ الفاكس: 175 962 71 216+
www.gammarth-immobiliere.tn
Contact@gammarth-immobiliere.tn

GAMMARTH IMMOBILIERE

إعلان بيع

طلب عروض عدد 05 لسنة 2017

تعتزم شركة «عقارية قمرت»، شركة على ملك الدّولة خاضعة لأحكام القانون التونسي، الإعلان عن طلب عروض للتفويت رضائيا لحساب الدولة وبتوكيل منها في عقارين (02) كائنين بالحمامات (قسطان مستقلان).

القسط	الفيـــلا	الرّسم العقاري	الموقع	مساحة العقار	المساحة المغطاة
I	إيريس	573610 نابل	على شاطئ خليج الحمامات وسط المدينة بجانب رباط القصبة (المدينة العتيقة) تطلان مباشرة على البحر وبزاوية شارعي العقبة الأردنية الهاشمية وفرحات حشاد - ملاصقة لنزل «دار حياة».	219 2م²	867 1م²
		570273 نابل		448 1 م²	
II	ميموزا	538336 نابل		193 4 م²	733م²

يمكن الإطلاع على الأمثلة الموقعيّة للعقارين على الرابط www.gammarth-immobiliere.tn أو مباشرة بالمقر الاجتماعي لشركة «عقارية قمرت».

الرسوم العقارية موضوع طلب العروض خالية من الرّهون أو التحملات وترجع بالملكية إلى الدّولة التونسية وهي مدرجة ضمن ملك الدولة الخاص. هذه الملكية التي إكتسبتها الدولة بمقتضى قرارات المصادرة تطبيقا للمرسوم عدد 13 لسنة 2011.

يتمثل العقاران في إقامتين رئيسيتين مع مجموعة بناءات فرعية يقعان على شاطئ خليج الحمامات وسط المدينة بجانب رباط القصبة (المدينة العتيقة) ويطلان مباشرة على البحر على واجهة قرابة 170 متر.

الصبغة العمرانيّة للعقارات حسب مثال التهيئة لمدينة الحمامات هي سكنيّة راقية وسياحيّة (UTa).

يتعلق البيع بالعقارات و المنقولات و التجهيزات على الحالة التي هي عليها وكما تقع معاينتها من قبل المشاركين ومستشاريهم وتحت مسؤوليتهم وتضمن عقارية قمرت والدولة التونسية للمشتري استحقاق المبيع وتمنعان عنه كل شغب مادي أو قانوني مصدره الغير وتكونان متضامنتان معه قضائيا في حال نشوب نزاع لاحق بسبب انتقال الملكية اليه.

يمكن لكل شخص طبيعي أو معنوي يرغب في المشاركة في طلب العروض الحالي زيارة ومعاينة الأقساط الموضوعة للبيع. وتجرى الزيارات بمواعيد مسبقة طيلة الفترة الممتدة من 06 فيفري إلى 27 مارس 2017. ويتمّ تحديد الموعد عن طريق طلب يقدّم إلى «عقارية قمرت» طبقا للشروط المحددة بكراس الشروط وبعد سحبها مقابل خلاص مبلغ غير قابل للاسترجاع قدره مائة وخمسون دينار (150 د) نقدا أو بواسطة صك يسلّم إلى القسم المالي للشركة أو بفرعها الكائن قبالة مفترق سهلول سوسة خلال التوقيت الإداري.

يمكن المشاركة حسب الاختيار في قسط أو أكثر وترسل العروض في ظروف مغلقة ومختومة عن طريق البريد مضمون الوصول أو البريد السريع أو تودع مباشرة مقابل وصل في الاستلام لدى مكتب الضبط لشركة عقارية قمرت. ويحمل الظرف الخارجي وجوبا التنصيصات التالية:

المرسل إليه : شركة «عقارية قمرت»

العنوان : نهج بحيرة أناسي – ممر بحيرة الملاوي عمارة الكرامة القابضة ضفاف البحيرة 1053 تونس

الموضوع: المشاركة في طلب العروض عدد 05 لسنة 2017

« لا يفتح من قبل مصالح مكتب الضبط»

يتكونّ ملف العرض المضمّن بالظرف الخارجي من جميع الوثائق الإدارية والمالية المرتّبة من «أ» إلى»ح» والمنصوص عليها بالفصل 8 المتعلق بمحتوى العروض بما في ذلك ضمان المشاركة طبقا لمقتضيات كراس الشروط والمحدد جزافيا بمبلغ **مائة ألف دينار (100.000 د)** للقسط الواحد.

حدّد آخر أجل لقبول العروض ليوم **الثلاثاء 28 مارس 2017** على السّاعة الثالثة بعد الزوال (15س00). ويعتمد ختم مكتب الضبط لشركة عقارية قمرت كمرجع وحيد لاثبات تاريخ وصول العروض. وتنعقد جلسة فتح العروض العلنية في نفس اليوم على الساعة الثالثة و النصف بعد الزوال (15س30) بالمقر الاجتماعي للشركة بحضور عدل تنفيذ والعارضين أو من يمثلهم (مصحوبين بإثبات هوية وبتوكيل).

ويبقى المشاركون ملزمين بعروضهم **لمدة مائة وخمسون (150) يوما** بداية من اليوم الموالي للتاريخ الأقصى المحدد لقبول العروض.
لمزيد الإرشادات يرجى الإتصال بالمصلحة التجارية للشركة أو بفرعها الجهوي الكائن قبالة مفترق سهلول سوسة على الأرقام :
(000 910 98 216+ أو 037 369 73 216+ أو 100 960 71 216+).

يحتطبون من الاعتصامات «الـ

مع بداية ظهور خيوط الأمل في عودة الاستثمار وتحقيق نسبة نمو إيجابية، تبدو تنقية المناخ السياسي وتحسين الأوضاع الأمنية شرطين لابد منهما لتعزيز تلك الانتعاشة ووضع البلاد على سكة النهوض. وإذا كانت المؤشرات الإيجابية واضحة على صعيد مكافحة الإرهاب، وما أفرزته من طمأنة للمستثمرين، فإن المعارك الدونكيشوتية داخل الأحزاب وفي ما بينها، وكذلك موجة الاعتصامات «الوحشية»، مازالت تُلقي ظلالا كثيفة على المشهد السياسي وتُثير التهيُّب لدى من يُراهن على التوجه إلى بلادنا.

ولو وضعنا أبرز المؤشرات الإيجابية في جدول ووضعنا إلى جانبها المؤشرات السلبية، لأدركنا أن العنصر السياسي هو المحدّد فيها، فهو القادر على ترجيح الكفّة نحو مسار الصعود أو النزول.

ما من شك في أن الحكومة هي التي تُمسك بالمفتاح، لكن تُمسك به معها أيضا الأحزاب والأطراف الاجتماعية، القادرة إما على الدفع بالمسار إلى الأمام أو تعطيله وإرباكه. لنبدأ أوّلا بقراءة بعض المؤشرات الإيجابية، فقد أظهرت دراسة ألمانية أن أمام تونس فرصة مهمّة لتحسين قدرتها التنافسية والتحوُّل إلى وجهة جاذبة لقطاع صناعة مُكوّنات السيارات. وهذا يقتضي من الحكومة وضع خطة عمل وإجراء الاتصالات اللازمة مع كبريات الشركات العالمية في هذا القطاع. كما أبدت شركات تصنيع سيارات آسيوية رغبتها في الاستثمار في هذا القطاع بتونس.

لكن هذا لا يكفي، فمن الضروري بحسب الدراسة الألمانية، إنشاء ميناء مياه عميقة ومنطقة صناعية وتخزينية ملائمة. ويُحيلنا هذا الشرط على مشروع ميناء المياه العميقة بالنفيضة، الذي ينام في الأدراج منذ عهد بن علي، والذي آن الأوان لنفض الغبار عنه، خاصة أن قسما كبيرا من الدراسات جاهزٌ.

ويُرسل قطاع الفسفاط أيضا مؤشرات إيجابية مبنية على قرب انطلاق الوحدة الصناعية الثانية بالمظيلة، التي يُتوقع أن تُؤمّن 600 موطن عمل وأن تنتج، مع الوحدة الأولى، مليوني طن من الفسفاط في السنة المقبلة. ويمكن أن نسرد مزيدا من المشاريع الأقل أهمية والمبرمجة للسنة الجارية أو المقبلة. غير أننا نلاحظ على الجانب الثاني من المشهد خطوطا رمادية لا تسمح للنمو بالانطلاق من عقاله ولا تبعث بذبذبات إيجابية إلى المستثمرين في الداخل والخارج على السواء. فزيادة على استشراء الفساد وتلوّث المناخات الحزبية تُثابر بعض الأطراف على الدعوة للعصيان وزرع الفوضى باسم المعارضة. كما تتواصل سلسلة الاعتصامات في منطقة الحوض المنجمي مُعطلة الإنتاج ومُكبدة شركة فسفاط قفصة، أحد أعمدة الاقتصاد الوطني، مزيدا من الخسائر بعدما تراجع الإنتاج خلال السنة الماضية إلى 3.2 مليون طن فقط بعدما كان يعادل 8 ملايين طن في 2010.

والغريب أن من أوقف العمل في مواقع استخراج الفسفاط في كاف الشفاير وكاف الدور وأم العرايس والمظيلة والرديف ليسوا عمال المناجم، وإنما هم من يُطلقون على أنفسهم «المُعطلون عن العمل». هؤلاء نصبوا الخيام وشلّوا المنشآت الحيوية لشركة الفسفاط، إلى جانب حجزهم قاطرة تابعة للشركة الوطنية للسكك الحديدية، في إطار موجة اعتصامات اجتاحت المعتمديات ومقر ولاية قفصة. ماذا يغنم هؤلاء عندما يشلّون مؤسسة تشغل 7500 عامل وتقني؟

غير بعيد عن قفصة أعلنت مؤخرا شركة «ويستار» النفطية الكندية أنها أوقفت الإنتاج في حقلها بصحراء تطاوين، وبالرغم من التوصل إلى اتفاق هش مع النقابة لتفادي طرد عشرين عاملا، فإن الوضع لا يُبشّر بخير.

وأيا كانت المبرّرات فنحن اليوم في وضع لا يتحمّل أن تُغادر البلاد أية مجموعة استثمارية ولا أن يُقفل أي مصنع أو شركة أبوابها مهما بلغ حجمها. فبالإضافة إلى الانعكاسات السياسية والرمزية لمثل تلك القرارات، ستكون مداخيلنا غير كافية لمواجهة تضاعف كتلة الأجور (في القطاع العام وحده) التي ستبلغ 13.7 مليار دينار أي ما يُعادل 45 في المائة من موازنة الدولة و14 في المائة من الناتج الداخلي الخام.

كما أننا سنكون غير قادرين أيضا على تعبئة موارد مالية بقيمة مليار يورو من أوروبا ستُخصّص لدعم موازنة 2017. وحتى إذا ما استطعنا تعبئتها سنُواجه صعوبة كبيرة في تسديدها بسبب المناخ الاجتماعي غير المستقر. من هنا تأتي خطورة التداعيات السلبية

ـوحشية» لإشعال نار الفتنة

بقلم د. رشيد خشانة

لتوتير المناخ الاجتماعي في ظل استمرار الدعوات التحريضية على تعكير الأمن وإرباك الحكومة بدافع اللهفة على اقتناص الفريسة إذا ما وقعت.

لو ألقينا نظرة ثانية على قائمة المؤشرات الإيجابية في الوضع الراهن وعلى جدول المؤشرات السلبية، لوجدنا أن الفاعلين السياسيين والاجتماعيين يلعبون دورا حاسما في مفترق الطرق الذي نقف عنده، فإدراك الأحزاب لمسؤوليتها الوطنية وكذلك النقابات ومنظمات المجتمع المدني، يجعلها تُرجّح كفة البناء والإصلاح على زرع الهشيم والسعي لتقويض أركان مجتمعنا الوسطي.

ولنضرب مثلا بسيطا على الروح التي لا ينبغي أن ننساق وراءها في التعاطي مع المعضلات الاجتماعية والسياسية، فهذا خبرٌ صغير مفاده أن أعوان شركة البيئة والغراسة بالرديف أغلقوا مُجمع شركة فسفاط قفصة بالمدينة، بسبب عدم حصولهم على منحة زي الشغل، مع الإصرار على تسلّم المنحة نقدا.

صحيح أن مطلبهم مشروع لاسيما أن نظراءهم في شركات البيئة بقابس وصفاقس حصلوا على تلك المنحة، لكن هل يُبرّر ذلك إغلاق مجمع الشركة وتكبيد المجموعة الوطنية خسائر فادحة؟ صحيح أيضا أن الشبان المُعطّلين الذين تظاهروا مؤخرا في معتمديات ولاية سيدي بوزيد يرفعون مطالب مشروعة تماما، لكن هل ستُحلّ مشاكلهم بإحداث الفوضى والاعتصام في المقرات الرسمية، فيجدون أنفسهم منساقين نحو أجندات سياسية عدمية وهم غافلون؟ الأمثلة كثيرة على أشكال النضال المبتكرة التي يمكن أن تتخذها الاحتجاجات والحركات الاجتماعية، من دون أن تُسبّب خسائر فادحة للمجموعة الوطنية. غير أن إبرة الميزان لا ينبغي أن تميل نحو الاعتداء على مكاسب المجتمع والإضرار بالاقتصاد الوطني وشلّ المؤسسات العمومية بدعوى الدفاع عن المطالب، مهما بلغت درجة شرعيتها، فالمستفيدون من هذا المُنزلق هم أولئك الذين يحتطبون من الاحتجاجات الاجتماعية لتأجيج نار الفتنة في البلاد.

ر.خ.

التّنمية... الحكم المحلّي واللاّمركزيّة

غني عن القول إن الفصل 148 من دستور 2014 يعلّق دخول القسم الرابع من القانون الأساسي للدولة المتعلق بالحكم المحلي على إصدار القوانين المتعلقة بالتنظيم الترابي الجديد للدولة والذي يشمل الجهات أي الولايات والبلديات والأقاليم. هذا ما يعني بقاء ما كان في التنظيم القائم قبل ثورة 14 جانفي أي الولايات والمعتمديات إذ أن المجالس البلدية تمّ حلّها وعوّضت بنيابات خصوصية صارت بمرّ الزمان من قبيل الأمر المعتاد، أما المجالس الجهوية فقد ضاعت في الزحام ولم يعد يذكر لها حال.←

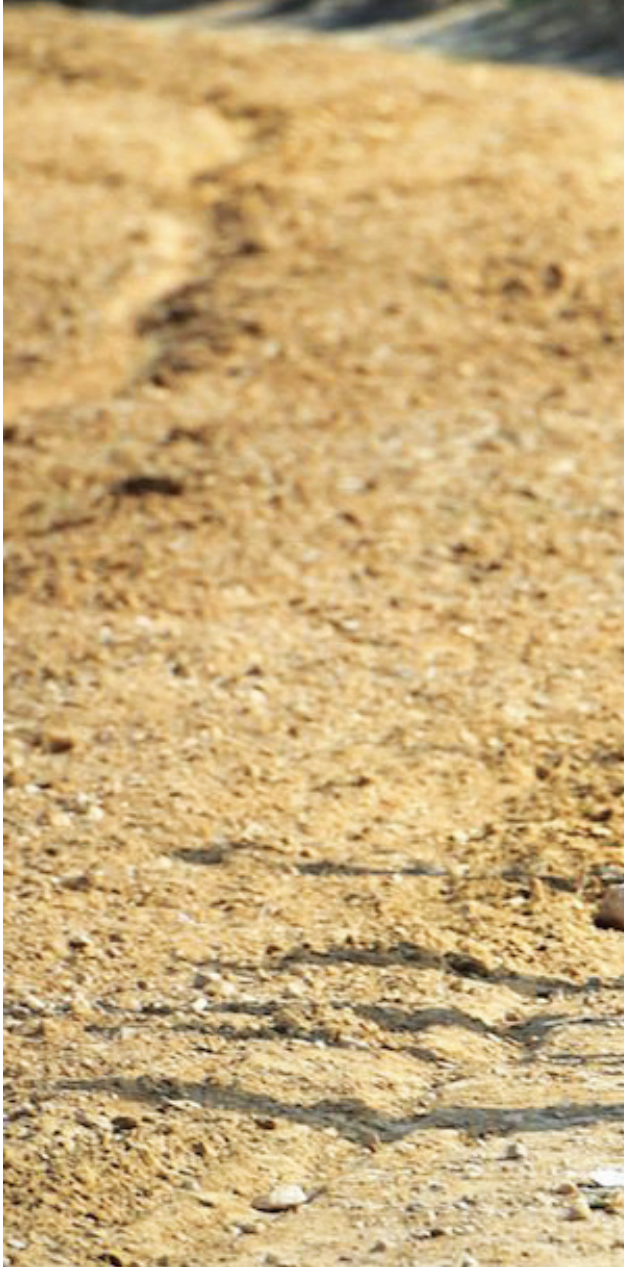

وفي الواقع وإزاء هذا الجمود الإداري والسياسي فإن الجهات ما انفكت من حين إلى آخر تعبّر عن قلقها وعدم رضاها عن وضعها الإداري والتنموي بل تذهب إلى حقّ المطالبة بعزل ذلك الوالي أو حلّ تلك النيابة الخصوصية وتكتسي مطالب الجهات في بعض الأحيان صيغ احتجاجات عنيفة للمطالبة بالتنمية والتشغيل أو النظافة واحترام تراتيب البناء والبيئة.

وتتّجه هذه المطالب بالأساس إلى الحكومة المركزية ممّا يوحي باختلالات وظيفية على المستوى الجهوي والحال أن الحكم المحلي القائم بهياكله المعينة أو المنتخبة و كذلك المصالح الإدارية اللاّمحورية والهياكل الفنية من دواوين ووكالات كان لها دوما دورهام في وضع برامج التنمية الجهوية والوطنية و تنفيذها.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: إلى أيّ مدى يمكن أن تواصل الجهات انتظار تركيز الحكم المحلي الجديد بها وتوسيع المشاركة الشعبية ومشاركة المجتمع المدني في ضبط الخيارات والبرامج والمشاريع الكفيلة بالانتقال من الركود إلى النمو و الاستجابة إلى مطالب التنمية والتشغيل؟

فترة انتقالية أطول من اللازم

من سيسبق من؟ الديمقراطية المحلية أم انتعاشة الاستثمار وارتفاع نسق النمو؟ الواضح أن النموذج المركزي في الإدارة والتنمية تجاوزته الأحداث وصارت تكاليفه أعباء ثقيلة على الدولة والمجتمع.والواضح أيضا أن الفترة الانتقالية طالت أكثر من اللزوم والحال أن الحكم المحلي هو أحد أسس الشرعية الجديدة للدولة و بندا هامّا في العقد الاجتماعي المنشود، لكن إلى حدّ الآن يتواصل تعيين الولاة والمعتمدين و يجد هؤلاء أنفسهم مطالبين بالتّصرّف في دوائرهم حسب نماذج وتشريعات مستهلكة ومواجهة إشكاليات جديدة ومسائل معقدة لا يجدون لها مخرجات معقولة أو كفيلة بنيل الرضا الجماعي.

وفي المقابل فإن الأحزاب، سواء كانت في الحكم أو المعارضة، لا تفصح أدبياتها عن تصورات عملية لتركيز الديمقراطية المحلية وما تقتضيه من نقل للصلاحيات والوسائل المادية والبشرية من المركز إلى الجهات حتى تتولى الجماعات المحلية المنتخبة القيام بمهامها وفي مقدمتها التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

والملفت للنظر أن موعد الانتخابات البلدية القادمة يبقى في عداد المجهول والحال أنه يهم حاضر ثلثي سكان البلاد ومستقبلهم.

والمحير أن بقاء ما كان على ما كان صاحبه أيضا تناقص اهتمام الحكم المركزي بالجهات، فزيارات الوزراء قليلة ومتباعدة ولا تفضي إلى إقرار الأولويات أو تدارك ما فات أو التفكير في ما تطرحه الجهات من اقتراحات في مجال التهيئة الترابية أو العمرانية. والخلاصة أن الديمقراطية المحلية والتنمية والتطور صنوان ولا يمكن وجود الأول دون وجود الثاني.

الماضي يضيء الحاضر

الملفت للنظر أن التنظيم الترابي للبلاد بعد الاستقلال كان من أوّل القرارات التي اتخذتها الحكومة آنذاك، فقد ألغى الحبيب بورقيبة في جوان 56 «القيادات» و«الخلافات» وعوّضها بالولايات والمعتمديات، ثم نظّم الانتخابات البلدية سنة 1957 لتعنى بالخدمات المقدمة للمجتمع. جمع بين أيدي الولاة كل صلاحيات وسلطات الدولة باستثناء الدفاع والعدل والمالية، كما جعل الولاة مرجع نظر ومراقبين لكل نقص أو تهاون من البلديات. وبالتوازي حمّل الهياكل الحزبية الجهوية مهمّة الدعم والإسناد وفي الوقت نفسه مراقبة الولاة حتى لا يصيبهم الغرور فيطغون أو يعجزون فيتواصل عجزهم مدة طويلة.

لقد تمكّن الولاة بصفتهم منسقين ومراقبين لكل مصالح الدولة وشركاء في وضع وتنفيذ البرامج العاجلة للتنمية التي كانت تقتضيها الظروف آنذاك من تبوّء مكانة مهمة في سلم الدولة و المجتمع وهذا بالضبط ما هو مطلوب منهم في الوقت الحاضر، إلا أن ما يعقّد مهامهم هي الاستحقاقات الأمنيّة وكثرة المطالب الاجتماعية وآثارها على خيارات الفاعلين الاقتصاديين.

ومن جهتها، فإن النيابات الخصوصية تواجه صعوبات متزايدة لتقديم الخدمات من نظافة واحترام التراتيب العمرانية والأنشطة الاقتصادية و تجد نفسها بالتالي في تباعد مع المواطنين الذين يجيبون على اضطراب تلك الخدمات بالتلكؤ في دفع الجباية المحلية.

الجباية والديمقراطية والحكم المحلي مترابطة ومتصلة وهذا ما ينبغي أن يعيه الجميع حتى تتهيأ أسباب إدخال هذه العناصر الهامة في تحديث البلاد وضمان الشغل لـ 630 ألف عاطل عن

العمل و من ضمنهم 236 ألفا من الحاصلين على شهادات عليا. ولا تقتصر إشكاليات الجهات على الظروف الخاصة لكلّ منها. اذ هي تتأثر بأداء الإدارة المركزية وتتأثر كذلك ببعض الاتفاقيات الدّولية مع أطراف خارجية، كما هو الحال بالنسبة إلى تأثير مناطق التّبادل الحر أو كما يسميها البعض مناطق الاجتياح الحر على النسيج الاقتصادي الجهوي من صغار ومتوسّطي الفلاحين والصناعيين والحرفيين. وهذا ما يؤكد ترابط المسائل بعضها البعض و ضرورة الحسم السريع فيها.

ولنا في هذا المجال أن نستأنس بالتجارب المقارنة التي خاضتها بعض البلدان في مجال اللامركزية، كفرنسا أو بلدان شرق أوروبا، وكذلك و قريبا منا المغرب الذي خطا خطوات مهمة في تركيز الهياكل اللامركزية من أقاليم و محافظات و بلديات وتخصيصها بنسب محترمة من ضرائب المبيعات والأجور و عقود التأمينات.

وفي انتظار أن تتحرّك السواكن فإن ليدرز ستهتمّ بالجهات الواحدة تلو الأخرى لتسليط الأضواء على أحوالها وأحلامها وتطلعاتها و طموحات نخبها، سعيا وراء تكوين صورة جلية لما ينتظره كل التونسيين من الحكم المحلي المضمّن في الدستور، وكذلك لفتح باب الحوار حول أفضل السبل الكفيلة بتعزيز قدرات الجهات الإنتاجية والتنافسية وتوطيد علاقات التعامل والتكامل والتضـامن داخل كل جهة على حدة وبين كل الجهات بما يدعم الوحدة الوطنية ويعلي شـأن الدولة التونسية بين الأمم.

أبو عطف

آمي للتأمين
AMI Assurances

GARANTIE

ASSISTANCE MOBILITÉ

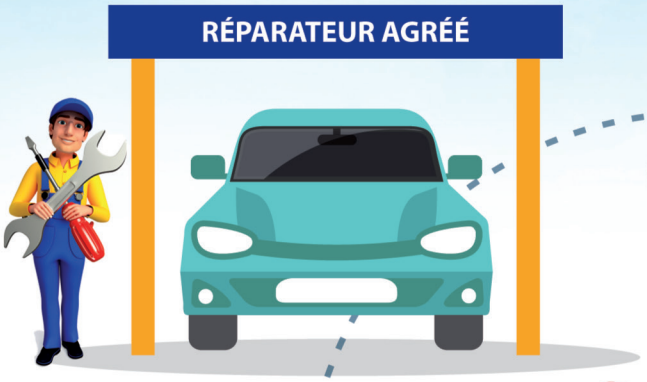

● **AMI** vous offre **gratuitement** le service généralisé de **prise en charge**

1ER SUR LE MARCHÉ

● **AMI** met à votre disposition **un véhicule de remplacement** pour vous « **particuliers** »

+

AMI offre **le service à domicile exclusivement pour vous** sous certaines conditions de souscription

N° VERT 80 102 787

AMI Assurances تأمينات

en partenariat avec Ga GÉNÉRALEASSISTANCE *Le contrat de tranquillité*

AMI : Cité les pins, Zone Nord Est, Les Berges du Lac II - 1053 Tunis / Tél. : (+216) 70 026 000 / Fax : (+216) 71 268 400 / E-mail : courrier@assurancesami.com / www.assurancesami.com

EXPRESS AIR CARGO

we cargo Africa

Africa
have never been
better connected

info@express-aircargo.com

الفصول المتعلّقة بالسلطة المحلية في دستور 2014

الفصل 131
تقوم السلطة المحلية على أساس اللامركزية.
تتجسد اللامركزية في جماعات محلية، تتكون من بلديات وجهات وأقاليم، يغطي كل صنف منها كامل تراب الجمهورية وفق تقسيم يضبطه القانون.
يمكن أن تحدث بقانون أصناف خصوصية من الجماعات المحلية.

الفصل 132
تتمتع الجماعات المحلية بالشخصية القانونية، وبالاستقلالية الإدارية والمالية، وتدير المصالح المحلية وفقا لمبدإ التدبير الحر.

الفصل 133
تدير الجماعات المحلية مجالس منتخبة.
تنتخب المجالس البلدية والجهوية انتخابا عاما، حرا، مباشرا، سريا، نزيها، وشفافا.
تنتخب مجالس الأقاليم من قبل أعضاء المجالس البلدية والجهوية.
يضمن القانون الانتخابي تمثيلية الشباب في مجالس الجماعات المحلية.

الفصل 134
تتمتع الجماعات المحلية بصلاحيات ذاتية وصلاحيات مشتركة مع السلطة المركزية وصلاحيات منقولة منها.
توزع الصلاحيات المشتركة والصلاحيات المنقولة استنادا إلى مبدإ التفريع.
تتمتع الجماعات المحلية بسلطة ترتيبية في مجال ممارسة صلاحياتها، ونشر قراراتها الترتيبية في جريدة رسمية للجماعات المحلية.

الفصل135
للجماعات المحلية موارد ذاتية، وموارد محالة إليها من السلطة المركزية، وتكون هذه الموارد ملائمة للصلاحيات المسندة إليها قانونا.
كل إحداث لصلاحيات أو نقل لها من السلطة المركزية إلى الجماعات المحلية، يكون مقترنا بما يناسبه من موارد.
يتم تحديد النظام المالي للجماعات المحلية بمقتضى القانون.

الفصل 136
تتكفل السلطة المركزية بتوفير موارد إضافية للجماعات المحلية تكريسا لمبدإ التضامن وباعتماد آلية التسوية والتعديل.
تعمل السلطة المركزية على بلوغ التكافؤ بين الموارد والأعباء المحلية.
يمكن تخصيص نسبة من المداخيل المتأتية من استغلال الثروات الطبيعية للنهوض بالتنمية الجهوية على المستوى الوطني.

الفصل 137
للجماعات المحلية في إطار الميزانية المصادق عليها حرية التصرف في مواردها حسب قواعد الحوكمة الرشيدة وتحت رقابة القضاء المالي.

الفصل 138
تخضع الجماعات المحلية فيما يتعلق بشرعية أعمالها للرقابة اللاحقة.

الفصل 139
تعتمد الجماعات المحلية آليات الديمقراطية التشاركية، ومبادئ الحوكمة المفتوحة، لضمان إسهام أوسع للمواطنين والمجتمع المدني في إعداد برامج التنمية والتهيئة الترابية ومتابعة تنفيذها طبقا لما يضبطه القانون.

الفصل 140
يمكن للجماعات المحلية أن تتعاون وأن تنشئ شراكات فيما بينها لتنفيذ برامج أو إنجاز أعمال ذات مصلحة مشتركة.
كما يمكن للجماعات المحلية ربط علاقات خارجية للشراكة والتعاون اللامركزي.
يضبط القانون قواعد التعاون والشراكة.

الفصل 141
المجلس الأعلى للجماعات المحلية هيكل تمثيلي لمجالس الجماعات المحلية مقره خارج العاصمة.
ينظر المجلس الأعلى للجماعات المحلية في المسائل المتعلقة بالتنمية والتوازن بين الجهات، ويبدي الرأي في مشاريع القوانين المتعلقة بالتخطيط والميزانية والمالية المحلية، ويمكن دعوة رئيسه لحضور مداولات مجلس نواب الشعب.
تضبط تركيبة المجلس الأعلى للجماعات المحلية ومهامه بقانون.

الفصل 142
يبت القضاء الإداري في جميع النزاعات المتعلقة بتنازع الاختصاص التي تنشأ فيما بين الجماعات المحلية، وبين السلطة المركزية والجماعات المحلية.

الطبقات الوسطى في تونس بعد 14 جانفي 2011

الحبيب التوهامي

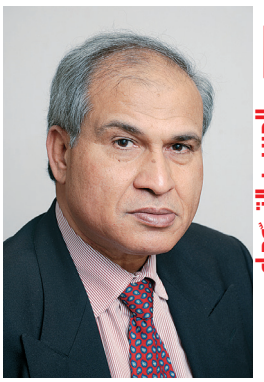

تكاثرت الأطروحات والمجادلات حول تآكل الطبقات الوسطى في تونس نتيجة للأزمة الاقتصادية والمالية والاجتماعية الخانقة التي تمرّ بها البلاد منذ ست سنوات دون أن تفصح عن حصيلة مقنعة، شأنها شأن كل المجادلات والأطروحات التي مسّت اختلال توازنات الميزان التجاري والصناديق الاجتماعية والمالية العمومية مثلا. ويعبر هذا عن السطحية التي تمّ بها التعامل مع مشاكل البلاد وعن رداءة وتدني مستوى النقاش السياسي والفكري الدائر في تونس منذ 14 جانفي 2011.

وما من شك أنّ الأزمة المشار إليها أدخلت على تركيبة وحجم مختلف الطبقات الاجتماعية تغيّرات ملحوظة بالرجوع إلى ما وقع في البلدان التي مرّت بأزمات مشابهة حيث لوحظ انزلاق نسبة من الطبقات الوسطى السفلى لتلحق بالطبقات الفقيرة وصعود نسبة من الطبقات الوسطى العليا لتلحق بالطبقات الاجتماعية العليا، إلا أنّ النقاش الذي دار حول هذا الموضوع في تونس افتقد إلى حدّ أدنى من المنهجية لأنه لم يعتمد على معطيات علمية ثابتة ولا على تعريف واضح ودقيق للطبقات الاجتماعية.

والواقع أنّ تآكل الطبقات الوسطى في تونس لم يبدأ مع الأزمة السائدة حاليا رغم أنّ المعهد الوطني للإحصاء أشار في نشرته المتعلقة بنتائج المسح الوطني حول الإنفاق والاستهلاك ومستوى عيش الأسر لسنة 2005 إلى أنّ نسبة الطبقات

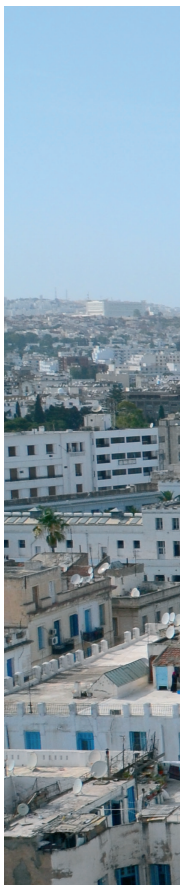

الوسطى من مجمــوع السكان تطوّرت مـن 70,6 % في سنة 1995 إلى 77,6 % في سنة 2000 وإلى 81,1 % في سنة 2005، وهذا ما سنعود إليه لاحقا عند مناقشة تعريف الطبقات الوسطى بالاعتماد على شرائح الإنفاق بل إنّ هذا التآكل بدأ منذ منتصف الثمانينات من القرن الماضي جرّاء تقلص نسبة الأجور في الناتج الداخلي الخام وجرّاء المردود الانعكاسي للتحويلات الاجتماعية التي يزداد الانتفاع بها كلما ارتفع الدخل.

كيف نعرّف الطبقات الوسطى؟

يطلق مصطلح الطبقات الوسطى عموما على فئات المجتمع التي تقع في وسط الهرم الاقتصادي والمالي أو التي تقع في وسط الهرم الاجتماعي المهني وهما طريقتان مختلفتان وغير متقاطعتين بالضرورة، فإذا استند تعريف الطبقات الوسطى إلى الناحية الاقتصادية والمالية فإنّه يستند تباعا إلى تقسيم السكان حسب شرائح الدخل وإن تعذّر حسب شرائح الإنفاق وهي الطريقة التي يتّبعها المعهد الوطني للإحصاء، أما إذا استند التعريف إلى الناحية المهنية فإنه يستند تباعا إلى تقسيم السكان حسب المركز الاجتماعي المهني لأرباب الأسر. وتُضبط حدود الطبقات الوسطى في الحالة الأولى بالرجوع إلى الشريحة أو الشرائح المتوسطة للدخل أو الإنفاق فمن زاد دخله أو إنفاقه على هذا المستوى حُشر ضمن الطبقات الغنية أو العليا ومن نقص دخله أو إنفاقه على هذا المستوى حُشر ضمن الطبقات الفقيرة أو السفلى. ولقد اعتمد المعهد الوطني للإحصاء على توزيع السكان حسب شرائح الإنفاق لحساب نسبة الطبقات المتوسطة من مجموع السكان لأسباب عملية ،ذلك أنّ توزيع السكان حسب شرائح الدخل غير متوفّر وهذا عيب كبير في حد ذاته تعود أسبابه أساسا إلى فقدان الإرادة السياسية. ولقد صرّح المعهد الوطني للإحصاء في 2005 برأيه علانية حول تطوّر نسبة الطبقات الوسطى من مجموع السكان بمناسبة نشره لنتائج المسح الوطني حول الإنفاق والاستهلاك معتبرا أنها تزايدت بين سنتي 1995 و2005 لأنّ نسبة مجموع شرائح الإنفاق الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة من مجموع السكان تزايدت في هذه الفترة وهي حدود الطبقات الوسطى كما يراها المعهد. ولكنّه سكت بعد ذلك فلم يفصح رسميا بمناسبة نشره لنتائج المسح في سنتي 2010 وفي 2015 عن تطوّر نسبة الطبقات الوسطى مكتفيا بإضافة شريحة ثامنة للإنفاق دون شرح تأثيرها في تحيين النسبة المشار إليها.

وينشر المعهد الوطني للإحصاء أيضا معلومات تهمّ توزيع السكان حسب الصنف المهني والاجتماعي لربّ الأسرة تبدأ تنازلا بالإطارات والمهن الحرة العليا ثم الإطارات والمهن الحرة المتوسطة ثم أعوان آخرين ثم الأعراف في الصناعة والتجارة والخدمات ثم المستقلين في الميادين السالفة الذكر ثم العملة غير الفلاحيين ثم الفلاحيين ثم العملة في الفلاحة إلى آخر ذلك من 12 صنفا بما في ذلك المتقاعدون. إلا أنّ النظر في مستوى الإنفاق الأسري أو الفردي لهذه الأصناف يدخل على الترتيب المعتمد من طرف المعهد الوطني للإحصاء شكّا كبيرا في إمكانية تقريبه بالمعطيات التي تهمّ شرائح الإنفاق حيث نلاحظ أنّ المتقاعدين يحتلون المركز الثالث من ناحية مستوى الإنفاق وأنّ الأعراف في الصناعة والتجارة والخدمات يحتلون المركز الرابع عوضا عن الأعوان الآخرين. يبقى أنّ العملة بجميع أنواعهم والعاطلين عن العمل والفلاحين يحتلون المراكز الأخيرة من ناحية مستوى الإنفاق مع أنّ هذه الأصناف لا تكوّن وحدة سوسولجية وهذا من الدوافع التي تجعل من الصعب المقاربة بين نتائج الطريقة الأولى والطريقة الثانية في تحديد نسبة الطبقات الوسطى من مجموع السكان.

ونستخلص من هذه التوطئة المتعلّقة بمفهوم الطبقات الوسطى ما يلي:

1 - أنّ الاعتماد على توزيع السكان حسب شرائح الإنفاق لحساب نسبة الطبقات المتوسطة من مجموع السكان لا يفي بالحاجة ولكنه يبقى الوسيلة الوحيدة الموصلة لذلك على ضوء المعلومات الإحصائية المتوفّرة في بلادنا.

2 - هناك فرق واضح بين الإنفاق والدخل مع وجود ترابط بينهما وهناك فرق واضح أيضا بين الدخل والثروة الممتلكة مع وجود ترابط بينهما كذلك وبالتالي فإنّ الفروق على صعيد الإنفاق لا تترجم كليا الفروق على صعيد الدخل والثروة الممتلكة.

3 - ما قيل وما كُتب السنة الماضية حول تناقص الطبقات الوسطى أو تآكلها لا يستقيم لأنّ المعهد الوطني للإحصاء لم يفصح إلا أخيرا عن نتائج المسح الوطني حول الإنفاق والاستهلاك لسنة 2015.

نتائج المسح الوطني حول الإنفاق والاستهلاك لسنة 2015

كما أشرت سابقا فإنّ المعهد الوطني للإحصاء أضاف شريحة ثامنة للإنفاق بداية من سنة 2010 ونشر تطوّرا للتوزيع النسبي للسكان بين سنتي 2000 و 2010 حسب شرائح الإنفاق السنوي للفرد بأسعار سنة 2010 ممّا أدخل على نسبة الطبقات الوسطى من مجمل السكان تغييرات، من ذلك أنّ هذه النسبة بلغت 78.8 % في 2005 عوضاعن 81.1 % المصرّح بها سابقا. ولكن المهم هنا أنّ المسح الوطني حول الإنفاق والاستهلاك لسنة 2015 بيّن أنّ نسبة الشريحة الثامنة أي الطبقات العليا من مجمل السكان بلغت 25,4 % مسجلة تطوّرا مرموقا بين سنتي 2010 و 2015 في حين سجّل مجمل الشرائح الأولى والثانية أي الطبقات الضعيفة تقلصا لافتا أيضا حسب المعهد ممّا من شأنه أن يفسّر تقهقر نسبة الفقر حسب المعهد أيضا.

ومهما يكن من أمر، فإنّ المعلومات التي نشرها المعهد الوطني للإحصاء بشأن المسح الوطني حول الإنفاق والاستهلاك لسنة 2015 لم تتضمن إطلاقا رأي المعهد فيما يخص تحيين نسبة الطبقات الوسطى من السكان وسكوت المعهد هنا كما كان الشأن في الوثيقة المتعلقة

بالمسح الوطني حول الإنفاق والاستهلاك لسنة 2010 دلالة واضحة ومباشرة على دقة الموضوع علميّا وعلى حساسيته سياسيّا، فضلا عن تحرّج المعهد من الإدلاء برأيه. وهكذا ترك المعهد الوطني للإحصاء مجالا كبيرا للنقاش حول نقطة لا يمكن البتّ فيها في كل الأحوال عبر توزيع السكان حسب شرائح الإنفاق فقط.
على أنّ المعهد الوطني للإحصاء نشر جملة من المعطيات يجب الوقوف عندها حتى تكون لنا صورة عن جملة التغيّرات الاقتصادية والاجتماعية التي حصلت في تونس بين سنتي 2010 و 2015 نلخّصها كالتالي:

1 - بلغت نسبة السكان الذين يقلّ إنفاقهم الفردي السنوي عن 500 دينار في سنة 2015 ما يقارب 0,1 % ونسبة السكان الذين ينفقون بين 500 و 750 دينارا 0,8 % والسكان الذين ينفقون بين 750 و 1000 دينار 2,1 % والسكان الذين ينفقون بين 1000 و 1500 دينار 8,1 % وهي الشرائح الأربع الأولى ومجملها 11,1 %.
كما بلغت نسبة السكان الذين ينفقون بين 1500 و 2000 دينار 12,5 % بالمائة والسكان الذين ينفقون بين 2000 و 3000 دينار 26,4 % والسكان الذين ينفقون بين 3000 و 4500 دينار 24,5 %. وبالتالي فإنّ نسبة السكان الذين ينفقون بين 1500 و 4500 دينار بلغت 63,4 % واعتمادا على مستوى الفقر الذي أقرّه المعهد نفسه (15,2 %من مجمل السكان) فإنّ نسبة الطبقات الوسطى لا يمكن أن تتجاوز في كل الأحوال نسبة 63,4 %.

2 - هيكلة الإنفاق أي نسبة كل باب من أبواب الإنفاق الرئيسية كالتغذية واللباس والسكن من مجمل الإنفاق دلالة على تطوّر المجتمع إما إيجابا و إمّا سلبا فلمّا تنقص نسبة الإنفاق الموجّهة إلى تغذية نستخلص أنّ الدخل ارتفع نسبيا وأنّ الحاجيات المعبّر عنها بالأولية لُبّيَت إلى حد ما ليخصّص جزء أكبر من الإنفاق للاستجابة إلى الحاجيات الموالية في الترتيب كالسكن واللباس ثم بعد ذلك لتلبية الحاجيات المتعلقة بالصحة والنظافة والتعليم إلى أن نصل إلى الحاجيات المتعلقة بالترفيه والسياحة. فبعد أن شكّل الإنفاق على التغذية نصف الإنفاق العائلي تقريبا كمعدل في منتصف السبعينات من القرن الماضي انخفض تدريجيا بعد ذلك ليصل إلى 34,8 % في 2005 و29,3 % في 2010 28,9 % في 2015. إلا أنّ هيكلة الإنفاق الأسري تختلف كما هو متوقع حسب شرائح الإنفاق. فالشريحة الأولى من الإنفاق (أقل من 500 دينار سنويا للفرد) تخصّص 33,2 % من إنفاقها للتغذية في 2015، في حين تخصّص الشريحة الثانية (من 500 د إلى 750 د) 40,7 % والشريحة الثالثة (من 750 د إلى 1000 د) 40,0 % والشريحة الرابعة (من 1000 د إلى 1500 د) 38,4 % والشريحة الخامسة (من 1500 د إلى 2000 د) 36,5 % والشريحة السادسة (من 2000 د إلى 3000 د) 34,8 % والشريحة السابعة (من 3000 د إلى 4500 د) 32,5 % في حين لا تخصّص الشريحة الثامنة والأخيرة (4500 د فما فوق) إلا 23,7 % فقط من إنفاقها للتغذية.

وربما يلحظ عدد من القراء تعارضا بين العلاقة المشار إليها أي انخفاض نسبة النفقات الموجّهة للتغذية كلما ارتفع الإنفاق الجملي فيما يخصّ الشريحة الأولى (أقل من 500 دينار سنويا للفرد) حيث تخصّص هذه الشريحة الأكثر فقرا 33,2 % من إنفاقها للتغذية وهي نسبة قريبة جدا من النسبة (32,5 %) التي تخصّصها الشريحة السابعة (من 3000 د إلى 4500 د) للتغذية والجواب هنا أنّ قسوة الفقر هي التي حتّمت على الشريحة الأولى الضغط على مصاريف التغذية لسدّ حاجياتها المتأكدة في السكن (45,9 %) وهي أعلى نسبة تسجّل إطلاقا. وتعزز استدراكنا للشذوذ عن القاعدة المشار إليها آنفا نسبة الإنفاق المخصص للتغذية حسب عشيرات الإنفاق، إذ نلاحظ أن العشير الأول (الأكثر فقرا) يخصّص 39,0 % من نفقاته للتغذية وهي أعلى نسبة تسجّل ثم تبدأ هذه النسبة في الانخفاض تدريجيا لتصل إلى 19,8 % فقط بالنسبة للعشير العاشر (الأكثر ثروة).

ويتناغم مستوى الإنفاق الفردي حسب الأبواب الرئيسية للإنفاق والصنف المهني والاجتماعي إلى حدّ ما مع هيكلة الإنفاق حسب شرائح الإنفاق إذ نلاحظ أنّ الإنفاق لفائدة التغذية وصل إلى22,3 % بالنسبة للأسر التي ترأسها الإطارات والمهن الحرة العليا ووصل إلى 25,2 % بالنسبة للأسر التي ترأسها الإطارات والمهن الحرة المتوسطة ووصل إلى 35,2 % بالنسبة لأسر العملة الفلاحين وهي أعلى نسبة تضمّنتها نشرة المعهد الوطني للإحصاء الخاصة بنتائج المسح الوطني حول الإنفاق والاستهلاك لسنة 2015.
وبالمقارنة مع هيكلة الإنفاق حسب الأبواب وشرائح الإنفاق لسنة 2005 وهي السنة الأخيرة التي أفصح بمناسبتها المعهد الوطني للإحصاء عن نسبة الطبقات الوسطى حسب رأيه يتّضح أنّ التطور العام الإيجابي الذي شهدته هيكلة الإنفاق هذه بين 2005 و 2015 لا يمكن أن يؤخذ كدلالة على ازدياد نسبة الطبقات الوسطى من مجموع السكان ولو أنّ نسبة الفقر تقلّصت إبان الفترة المذكورة ولو أنّ المؤشر التأليفي «جيني» الذي يلخص درجة التفاوت في توزع الإنفاق الأسري تقلّص كذلك (من0,41 إلى 0,309 حسب المعهد)، لأنّ تقدير نسبة الطبقات الوسطى يخضع في النهاية إلى قراءة معمّقة في التغيّرات التي حصلت داخل التركيبة الاجتماعية وهي مسألة نسبية بالأساس.

الخلاصة

ما من شكّ أنّ الطبقات الوسطى في تونس عانت نسبيا أكثر من غيرها تبعات الأزمة الاقتصادية والاجتماعية التي تعيشها البلاد منذ سنوات لأسباب تتعلق بتدهور القدرة الشرائية للأجور وباستفحال بطالة حاملي الشهادات العليا وبغلاء المعيشة وخاصة نفقات السكن وبالضغط المتزايد عليها من جراء الضرائب المسلطة عليها ، هذا الضغط الذي يتزامن مع استفحال التهرّب الجبائي لأصناف مهنية واقتصادية مؤثّرة، وكذلك جرّاء المردود العكسي لمجمل التحويلات الاجتماعية. وحتى ولو صعب الاتفاق حول تحيين نسبة الطبقات الوسطى بعد نشر المعهد الوطني لنتائج المسح الوطني حول الاستهلاك 2015 فمن المؤكد أنّ هذه النسبة تناقصت وهذا يكفي لإطلاق صفارة الإنذار لأنّ تآكل الطبقات الوسطى من أعلى أو من الأسفل يشكّل خطرا كبيرا على ترابط المجتمع التونسي وتماسكه.

ح.ت.

قرض سكن ملكتي

البنك التونسي
BANQUE DE TUNISIE

نحن نحقّق أحلامكم

هل ترغبون في شراء مسكن أو الاستثمار في منزل ثان؟
هل ترغبون في بناء أو تحسين مسكنكم؟
البنك التونسي يساعدكم في تحقيق أمانيكم ومشاريعكم العقارية من خلال قرض سكن «ملكتي».

- قرض يتناسب مع مقدرة السداد الخاصة بكم، يصل إلى 80٪ من تكلفته
- امكانية ســـداد القرض على امتداد 25 سنة
- نسب فائدة تفاضلية و مميزة
- إجابة سريعة
- التمتع بقرض فوري دون وجوب إدخار مسبق.
- تمويل إلى سن 75 سنة

مرشد حرفاء في إستماعكم لمرافقتكم خلال كافة مراحل الحصول على القرض

81/101212

www.bt.com.tn

العقل السّياسيّ التّونسي

أتاح السّياق السيّاسيّ الجديد الذّي تلا الرّابع عشر من جانفي 2011 فرصة تاريخيّة للنّخب الوطنيّة والأحزاب السّياسيّة للخوض في الشّأن العامّ وتطارح القضايا المصيريّة للبلاد في مناخ من مطلق الحريّة ومـوفـور الاستقـلاليّة، إذ لا قيود على الرّأي ولا رقابة ولا حدود إلّا ما نظّمته القوانين والتّشريعات. ولكنّ نوعيّة النّقاش الذّي يدور في البلاد منذ ما يزيد عن ستّ سنوات يجعل الملاحظ يتبيّن أنّ تلك النّخب والأحزاب بصدد إهدار هذه الفرصة بسبب ما يتّصف به الخطاب السيّاسيّ من تشنّج وما يرشح عن حوار مختلف مكوّنـات السّـاحة السّياسيّة مـن عراك إيديولـوجـيّ لا طائل منه. ويمكن للنّاظر في بعض مظاهر النّقاش السيّاسيّ في تونس أن ينتهي إلى استصفاء أهمّ خصائص العقل السّياسيّ التّونسيّ بعد «الثّورة» والوقوف على أبرز سماته. ولعلّ أجلى هذه الخصائص أنّه عقل سجاليّ un esprit disputeur، يطغى عليه تبادل الاتّهامات والتّخليّ عن المنطق الموضوعي واتّخاذ مواقف دفاعيّة فيترتّب عن ذلك حجب المسائل الحقيقيّة أو تضييع جوهرها واستبدالها بقضايا جانبيّة تبعد النّقاش عن هدفه الأصليّ وتحرّفه عن مقاصده الأساسيّة.

بين التّوافـق والتّـراشق

رغم ما شاع من أنّ المبدأ المُميّز للعلاقة بين الأطراف السيّاسيّة في تونس هو مبدأ التّوافق باعتباره الوصفة السّحريّة التّي تمّ العثور عليها لتجاوز بعض المراحل الدّقيقة في مسار الانتقال الدّيمقراطيّ والآليّة التّي وقع الاحتكام إليها لتجنّب عديد المآزق والتّشابكات الحادّة فإنّ هذا التّوافق الظّاهر كثيرا ما يتحوّل على الميدان إلى تراشق بالمطاعن والمآخذ فينقلب الوفاق إلى شقاق ويحتلّ السّجال صدارة المشهد السّياسيّ. ولعلّ أبرز مظاهر استناد العقل السّياسيّ التّونسيّ إلى المنهج السّجاليّ قيام خطاب النُّخب والأحزاب في جانب كبير منه على نقد دعاوى الخصوم ونقض مزاعمهم وعلى التّشهير بأخطاء الغير وتبرير ما يُنسب إلى تلك الأحزاب من عيوب. وعلى هذا النّحو يبدو هذا العقل مُنشغلا بكيل الاتّهامات ودحض الاتّهامات المضادّة وبالرّدّ والتّفنيد على نحو ما يُسمّى في الفرنسيّة prise de bec، فلكلّ فريق جملة من المطاعن الجاهزة وجملة من الرّدود المعدّة سلفا، وهي ظاهرة تُعايَن بيُسر في الحوارات الإعلاميّة والمناهج الاتّصاليّة لكثير من قادة الأحزاب ونوّابها ومناضليها.

ويلاحظ المتابع في هذا الصّدد أنّ خصوم «النّهضة» مثلا لا يتوانون عن التّذكير كلّما وجدوا إلى ذلك سبيلا بعدد من المآخذ التّي تُعاب بها هذه الحركة من ذلك الفشل في قيادة البلاد وإدارة المرحلة الانتقاليّة زمن «التّرويكا»، والتّعاطي مع مسؤوليّة الحكم بمنطق الغنيمة، والتّساهل في التّعامل مع الظّاهرة الإرهابيّة، ومحاولة أسلمة المجتمع وتوظيف الدّين في العمل السّياسيّ، فضلا عن تحميلها مسؤوليّة الاغتيالات السّياسيّة التّي عرفتها البلاد في تلك الفترة. أمّا أنصارها فينبني خطابهم في الغالب الأعمّ على التّذكير بماضيهم في مواجهة الأنظمة السّابقة وبما نالهم جرّاء ذلك من عسف وتهجير وملاحقة، ويردّون على منتقديهم بأنّهم يتبنّون منهج الوفاق وهو ما حملهم على قبول التّنحّي عن السّلطة مراعاة لمصلحة البلاد، وإذا تعلّق النّقاش بالخلط بين الدّين والسّياسة فإنّهم يؤكّدون ما تعكف عليه حركتهم من مراجعات ليس أقلّها إقرارها الفصل بين الدّعويّ والسّياسيّ.

ومن جهة أخرى نرى خصوم «الجبهة الشّعبيّة» يؤاخذون المتبنّين للفكر اليساري عموما بأنّهم «علمانيّون»، أو ينعتونهم تارة بالاستئصاليّين بسبب مواقفهم الرّاديكاليّة إزاء الإسلام السّياسيّ، وقد يوصفون تارة أخرى بالطوباويين بحجّة أنّهم يدعون إلى نظام اجتماعيّ مفرط في المثاليّة وإلى اشتراكيّة أورثودكسيّة متشدّدة. وتُحمَّل الجبهة في كثير من الأحيان مسؤوليّة التّحرّكات الاجتماعيّة والاحتجاجات الشّعبيّة التّي تنجم هنا أو هناك، ومن ثمّ تُتَّهم بتعطيل حركة الانتاج ومسار التّنميّة. غير أنّ أنصار الجبهة يردّون على هذا الموقف بكونهم يُمثّلون القوى التّقدّميّة والدّيمقراطيّة في البلاد ويحملون لواء الفكر الحداثيّ التّنويريّ، وأنّ مواقفهم وتحرّكاتهم تندرج في إطار النّضال من أجل الحريّات والحقوق العامّة، أمّا نظرتهم إلى المسألة الاقتصاديّة والاجتماعيّة فمدارها على الدّعوة إلى منوال تنمويّ مغاير قوامه العدالة الاجتماعيّة والمساواة.

وأمّا خصوم «النّداء» فيعيبون على هذا الحزب استفحال الصّراعات الدّاخليّة وفرط الانقسام والتّفكّك جرّاء معارك الزّعامة والتّموقع، وبالنّظر إلى استمرار الصّعوبات الاقتصاديّة والاجتماعيّة في البلاد بات النّداء يُنتقد بعدم الإيفاء بوعوده الانتخابيّة وبالفشل في إيجاد الحلول للصّعوبات التّي تعيشها البلاد، فضلا عن مؤاخذته بالتّحالف مع خصوم الأمس وتخييب أمل ناخبيه الذّين صوّتوا له باعتباره ضديدا للنّهضة. ويردّ النّدائيّون بأنّ حزبهم إنْ لم يكن له فضل سوى إحداث التّوازن المنشود في المشهد السّياسيّ الوطنيّ فقد كفاه ذلك مزيّة وفائدة. أمّا عن مواجهة مشاكل التّنميّة في البلاد فيدحضون رأي خصومهم بكونهم ورثوا وضعا اقتصاديّا واجتماعيّا حرجا لا يمكن تجاوز صعوباته إلا على مدى متوسّط وطويل. وأمّا ما يعرفه الحزب من تصدّع فيعتبرون ذلك مخاضا طبيعيّا في كيان سياسيّ تشكّل من روافد مختلفة ومشارب متباينة. وهكذا ينهمك العقل السّياسيّ التّونسيّ في السّجال والمشاحنات والتّراشق بالاتّهامات وتَصْرِفه هواجس النّقد والنّقض والتّبرير والدّحض عن مهامّه الجوهريّة وهي التّفكير في بناء المستقبل والاجتهاد في صياغة الرّؤى الاستراتيجيّة والتّوجّهات الكفيلة بمعالجة معضلات التّنميّة والانكباب على تقديم الطّروحات التّي يُساهم بها في وضع البرامج والمناويل النّاجعة في مواجهة ما تفرضه التّحوّلات الجيوسياسيّة إقليميّا ودوليّا من تحدّيات كبرى.

ـيّ بين التّفكير والسّجال

د. الحبيب الأدبي

الفكر السّكولائيّ Scolastique

يُستخدم نعت سكولائيّ Scolastique لتسمية كلّ انشداد إلى العقليّة «المدرسيّة» (بالمعنى الفلسفيّ) وكلّ نزوع إلى الانغلاق في أطاريح أو في مسائل تشكّلت في زمن سابق وأضحت مادّة جاهزة بدلا من تجدّدها عبر الالتصاق المباشر بالتّجربة المتغيّرة والمشاهدة والحياة. ويفضي هذا الانغلاق إلى جعل المسلّمات القديمة تتحكّم في رؤية العقل للواقع وتمنعه تبعا لذلك من تجديد نظرته ومناهج تفكيره وآليّات تمثّله للأشياء. والمُحصّل أنّ الفكر السّكولائيّ يمنع من مزاولة القضايا الرّاهنة إلّا من خلال الأفكار التّي صُنعت في وضعيّة سابقة، ويترتّب عن ذلك أن يصير الفكر عاجزا عن الإمساك بالواقع أو التّحكّم فيه. وهنا يلتقي هذا المنهج مع المنهج السّجاليّ لأنّه لا يُعاين الواقع ولا يسعى إلى فهمه وتحليل عناصره وإنّما يلوذ بالإيديولوجيا والمواقف الذّاتيّة ليبرهن على صحّتها.

ويتّضح لدارس العقل السّياسيّ التّونسيّ أنّ المواقف المعبّرة عن مقوّمات ذاك العقل تُبطن بعض خصائص الفكر السكولائي وتجلّياته، ذلك أنّ التّعاطي مع بعض القضايا الإقليميّة مثل المسألة السّوريّة أو الصّراع بين الأطراف المتنازعة في ليبيا أو سقوط حكم الإخوان المسلمين في مصر لم يتمّ من زاوية ما تقتضيه التّقاليد والأعراف الدّيبلوماسيّة والمبادئ الأساسيّة للعلاقات الدّوليّة وما تفرضه المصالح العليا للبلاد وإنّما وقع النّظر إلى هذه القضايا من زاوية مدى التقارب الفكري والإيديولوجيّ لكلّ تيّار سياسيّ وطنيّ مع الأطراف المتنازعة في تلك البلدان، ولم نستمع إلّا نادرا إلى مواقف تراعي عناصر الواقع الجيوسياسيّ المتحكّم في تلك التّغيّرات بقدر ما استمعنا إلى آراء تُغلّب الأهواء الذّاتيّة وتصدر عن منطلقات إيديولوجيّة ومذهبيّة تكرّس الانغلاق داخل دائرة أطروحات تبلورت في حقبة ماضية. أمّا على الصّعيد الدّاخلي فقد ظلّت المسألة الاقتصاديّة والاجتماعيّة عصيّة على الحلّ لأنّ النّظرة إليها بقيت حبيسة طرائق المعالجة التّقليديّة والمألوفة، فدفع التّنمية وتنشيط الدّورة الاقتصاديّة في الجهات أو مجابهة المطالب الاجتماعيّة المُلحّة مازالت تُباشَر دوما تحت ضغط الأزمات والتّحرّكات الاحتجاجيّة فلا تُواجَه غالبا إلّا بالحلول الظّرفيّة التّلفيقيّة الرّاميّة إلى امتصاص الضّغط آنيّا ولا تُزاول في ضوء رؤية استراتيجيّة شاملة ومتكاملة.

منطق التّبرير والتّـفـصّي

يؤدّي السّجال وما يرتبط به من تهجّم ونقد ودفاع وردّ إلى الوقوع في التّبرير والتّفصّي من المسؤوليّة وإنكارها. ويظهر ذلك في صِيغ مختلفة منها عدم الإقرار بالخطإ أو بالقصور لأنّ الاعتراف بتحمّل تبعات خيار فاشل أو إجراء مجانب للصّواب أو قرار في غير محلّه من شأنه أن يُهدّد مشروعيّة التّيّار كلّه ومصداقيّة النّظريّة وما يتبنّاه من فكر. وعلى هذا الأساس نجد في الخطاب السّياسيّ الرّاهن محاولات كثيرة للتّغطية على قصور المناهج والوسائل التّي اتّبعت لمواجهة بعض الملفّات الكُبرى والاشكالات العالقة السّياسيّة والتّنمويّة والاجتماعيّة فيُعلّق الفشل على «الدّولة العميقة» أو «الثّورة المضادّة» أو «قوى الردّة» أو على «ثقل الإرث الذّي خلّفته حكومات سابقة».

وقد يتجلّى التّفصّي من المسؤوليّة في صيغ أخرى من قبيل إلقاء المسؤوليّة على مفاهيم عامّة مثل «العقليّة السّائدة» و«غياب الوعي» و«عدم تهيّئ الذّهنيّات للإصلاح والتّغيير» و«التّقاليد الموروثة» وغيرها. في حين تقتضي القدرة على مواجهة المسؤوليّة جملة من الخصال أهمّها مباشرة الواقع باعتباره معطيات متغيّرة ومتطوّرة تخضع في حركيّتها إلى عوامل موضوعيّة وإلى قوانين علميّة، والكفّ عن ارتهان مشاريع الإصلاح والتّطوير إلى النّظريّات الجاهزة والعقائد الفكريّة المتكلّسة لأنّ المجتمع لا يمكن أن يُختزَل في مذهب أو في إيديولوجيا، والنّظر إلى المراجعة على أنّها إصلاح للتّجربة الماضية وليست نسفا للمكتسبات القديمة وبدءا من الصّفر لأنّ حركيّة التّاريخ تُبنى على المراكمة والإضافة. ويتبيّن ممّا تقدّم أنّ العقل السّياسيّ في تونس مُنصرف إلى مشاغل آنيّة عابرة تحول دونه وتمحيص القضايا الاستراتيجيّة والمصيريّة الحاسمة، وهو يشتغل بآليّات الرأي والاعتقاد مُعرضا عن قوانين العقلانيّة والعلم، ومن ثمّة فهو لا يبدو جيّد التّمثّل للواقع، مُحكِم المسك بزمامه والسّيطرة عليه. بل إنّه منغلق في دائرة السّجال الأجوف الذّي ليس له من وظيفة سوى تكريس فكر المماحكات وإعادة إنتاج التّصدّع والانقسام داخل المجتمع وتأجيج مشاعر التّباغض والعداء.

ولعلّ الأجدى أن يتحوّل هذا السّجال إلى نظر فاحص في ما تطرحه علينا المتغيّرات الرّاهنة في العالم من تحدّيات، فالأحرى أن نفكّر في كيفيّة تحويل التّوجّس من زحف اللّيبراليّة الجديدة إلى فرص حقيقيّة لإعادة التّموقع في المشهد الجيوسياسيّ المستجدّ، وأن نبحث في سبل الاستفادة من نزعة الحمائيّة والانعزال التّي تجنح إليها كبرى قوى الاقتصاد في العالم لعلّنا نجد موقعا أفضل في خارطة التّجارة العالميّة الجديدة، وأن نتدارس قضايانا الكبرى مثل: منوال التّنمية ومصادر الثّروة، ومناهج تكوين الموارد البشريّة وطرائق تثمينها، وعقيدتنا الدّيبلوماسيّة وسبل تطويرها. كلّ ذلك حتّى تستعيد الأحزاب السّياسيّة دورها الأساسيّ باعتبارها فضاءات للتّفكير والتّباحث والدّرس ومنابر للحوار البنّاء والنّقاش وتكوين الرّأي.

ح.د.

طبرقة في فصل الشتاء

فنـــــــدق La Cigale

الجمال والخدمة الراقيـة

أن تشد الرحال إلى مدينة طبرقة في عزّ الشتاء، أن تقضي في طبرقة عطلة بأسبوع أو حتى خلال أيام نهاية الأسبوع، قد يعتقد البعض أن هذا مجرد كلام لا صلة له بالواقع، هؤلاء سيغيّرون رأيهم بسرعة حينما يبهرهم جمال الموقع ويؤسرهم بهاء المشهد. انبهارهم سيتضاعف بدون شك إذا ما سنحت لهم فرصة زيارة فندق La Cigale المصنّف في درجة الفنادق من الطراز العالي والذي يحتوي على مركز استحمام بمياه البحر يعتبر الأهمّ من حيث فوائده الصحية العظيمة. تتوفر في فندق La Cigale كلّ مواصفات القصر الفخم، وهو ينتمي إلى سلسلة فنادق قطريّة ويُدار وفق أدقّ المقاييس والأنماط العالمية. يلقى الزائر حسن القبول والوفادة. تُقدّم له أشهى الأطباق وأرقّ المأكولات... كلّ وافد على الفندق يحظى برعاية خاصة وشخصية قلّ أن يوجد مثيلها في الفنادق الأخرى، فيحدث ذلك أجمل الوقع في نفسه ويُقوّي ثقته في الفندقة التونسية.

تقع طبرقة في وسط طبيعي فريد، في أقصى شمال البلاد.. المدينة فخورة باسمها البربري الذي يعني «بلاد الورد الجبلي» أو الخلنج. طبرقة هي عاصمة المرجان، تقع على سفح سلسلة جبال خمير.. البحر يزخر بثروات المرجان، هذا الذهب الأحمر اللّماع ينمو وينتشر في أعماق المتوسط بجوار أصناف كثيرة من الأسماك وجراد البحر. الحدود الجزائرية قريبة من هناك.. مدينة عين دراهم لا تبعد عن طبرقة أكثر من 25 كيلومترا، وبين طبرقة وتونس العاصمة مسافة لا تزيد عن 150 كلم. طريق سريعة أنجزت مؤخرا تربط بين العاصمة ومدينة باجة (100 كلم) وسط ضيعات خضراء بهيّة ومناظر طبيعية خلابة تشدك إليها فتنسيك عناء السفر. ثم تُغيّر وجهتك نحو بلدة نفزة وتبدأ من هناك الرحلة إلى طبرقة على بعد 50 كلم. وبوسع هواة المناظر الطبيعية الخلابة أن يحوّلوا وجهتهم عند العودة من طبرقة إلى تونس العاصمة صوب سجنان ومنزل بورقيبة مرورا من شاطئ الزوارع ومحميّة إشكل، قبل سلوك الطريق الرابطة بين بنزرت وتونس العاصمة.. الجولة رائعة كما ترى. حينما تصـــل إلى فندق

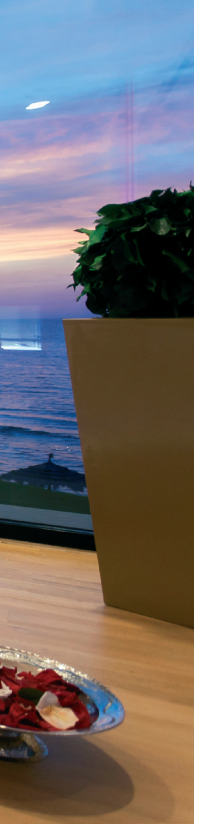

La Cigale Tabarka تحسب أنك نزلت مهادا يطل على البحر الأزرق وتلفّه الخضرة لفًا. حينما تقف قبالة الفندق، يبدو لك المعمار في أبهى منظر؛ في انسجام تام مع المعمار المحلي. الزخرفة داخل النزل تتميّز بتجرّدها وسلاستها وطابعها العصري...يؤخذ الزائر حين دخوله الفندق إلى قاعة استقبال سامي الشخصيات في الطابق الثاني حيث يجد في استقباله مضيّفات قد تجمّلن وظهرن في أحسن حلّة.. يبادرنه بالتحية ويقدمن له كوب شوكولاته ساخنة حينما يكون الطقس باردا، بالإضافة إلى مشروبات أخرى ومعجنات رقيقة شهية من صنع أمهر الخبازين.. ثم يكتشف الزائر أشياء وأشياء: الغرف الممتدة الأرجاء، المطلة على البحر؛ آلة البيانو؛ المدفأة في أحد الأركان؛ مجموعة مطاعم تقدم ما لذّ وطاب من شهيّ الأطباق؛ المقهى العربي الأصيل الذي يذكرك بقصص ألف ليلة وليلة؛ نوادي الأطفال؛ القاعات الرياضية؛ قاعات لعقد المؤتمرات ؛ المسابح الداخلية بمياه البحر؛ الحمام بماء البحر؛ الأسطح الفسيحة قبالة البحر وحول المسبح... تتجاذبك كل هذه الأشياء العجيبة... تبهرك..تأخذ بمجامع نفسك.. تتيه في غمرتها. حينما يكون الطقس صافيا ، تبدو لك جزيرة جالطة la Galite في الأفق البعيد، ترى ملامحها واضحة رغم بعد المسافة ، فبينها وبين طبرقة مسيرة ساعات عبر البحر.. تصادفك في تجوالك داخل الفندق معروضات المأكولات والأطباق من أعلى طراز وبشتى الألوان والأصناف.. بوسعك أن تختار ما شئت من هذه الأصناف، كما بوسعك أن تتقيّد بقائمة من المأكولات.. رئيس الطهاة منير يهديك في الحالتين ما لذّ وطاب من شهيّ الأطباق وأجود المأكولات.. ربما يستهويك جراد البحر فلا ترضى عنه بديلا، وربما ملت إلى طبق السمك الطازج الذي أخرج من البحر على التوّ.

الـــروح والبـــدن

يقع مركز الاستحمام بماء البحر حذاء حديقة النزل على مساحة 2 300 متر مربع. مركز عصري يحتوي على أرقى التجهيزات، الحمام التقليدي يبدو هنا في مظهر غير مألوف. صممت غرف الحمام الثلاثة والعشرون بحسب طبيعة العلاجات التي تكون إما رطبة وإما جافة وبحسب نمط التمسيد...فطرق التمسيد تختلف من إفريقية، إلى هندية، إلى آسيوية، ولكل طريقة نغماتها الموسيقية الهادئة. هنالك يتفرع المسلك المائي إلى ممّرات تحت الأدواش الباردة أو الأدواش الدافئة أو الأدواش الحامية، ثم يصادفك حوض الجكوزي في المسبح الكبير.. وينتهي المسلك المائي إلى سباق ضد التيار في الماء البارد، يعطيك مناعة وقوة ويكفيك شرّ الزكام والسعال طوال فصل الشتاء. الطاقم العامل في مركز الاستحمام بفندق la Cigale مؤلف من شباب يحسن استقبال الضيوف، ماهر كفء إلى أبعد الحدود، رقيق الأنامل، بشوش، له قدرة فائقة على تعديل أساليب التدليك، فيداول بين التمسيد والاسترخاء والتنشيط، وينتهي في كل الأحوال إلى إزالة كل ما قد يزعجك ويعكّر صفو مزاجك . الشركة المالكة لفندق La Cigale بطبرقة، وهي مجموعة «ماجدة» القطرية، لم تتردّد في تسخير كل وسائلها وجهدها في سعيها لإنشاء

الفندق. الرئيس المدير العام للمجموعة، فيكتور آغا، أراد أن ينجز مشروعا من الطراز العالي. ولقي من عادل علية، المدير العام، ونبيل مقرون، مدير الاستغلال، كل تشجيع وعاضداه تماما في مسعاه. والآن وقد أنجز المشروع ووضع فندق la Cigale Tabarka على السكة، ظهر تحدّ جديد بعد أن حصلت المجموعة القطرية على «دار نوّار» بضاحية قمرت، تحدّ يتمثل في الإقدام على إنشاء قطب فندقي استثنائي في ضاحية تونس العاصمة.

للمولعين برياضة الغولف

إذا أردت أن تكتشف الفضاءات المحيطة بفندق La Cigale بطبرقة فما عليك إلا أن تبادر إلى زيارة ملعب الغولف قرب الفندق، ملعب يمتدّ على مساحة تزيد عن 100 هكتارا . يمتطي لاعبو الغولف سيّارات كهربائية صغيرة ويعبرون مسلكا محفوفا بالأشجار بحذاء مرتفعات خضراء تطلّ على مياه البحر الأبيض المتوسط. المنظر جميل، بل في منتهى الجمال والروعة. المسلك تتخلله فضاءات جديدة مهيأة لرياضة الغولف تختلف من حيث عدد المواقع بمعدل ستة للفضاء الواحد. تتخلل المسلك مواقع جديدة ـ greens ـ على مساحة تقدر بـ 400 متر مربع تحميها حواجز ضخمة. يبدو الموقع في شكل بساط أخضر وتتخلله فضاءات مائية، ما يضفي عليه قدرا كبيرا من الجمال، وما يدفع لاعبي الغولف إلى الإقبال على هذه المواقع وممارسة هوايتهم بكل يسر واطمئنان. وتجري الأشغال حثيثة لتهيئة النادي وتأهيله كأفضل ما يكون التأهيل. يوجد على مقربة من النادي مركب رياضي ترتاده فرق كرة القدم في إطار تربصات مكثفة تجري في فضاءات خلابة. يشتمل المركب على أربعة ميادين لكرة القدم ويتوفر على مركز يحتوي على حجرات ملابس وقاعات لبناء الأجسام وتقوية البنية، وأخرى للتمسيد وأخرى لعقد المؤتمرات والندوات، بالإضافة إلى كثير من المرافق الأخرى.

عين دراهم، على مسافة قصيرة من طبرقة

مسافة قصيرة تفصل مدينة طبرقة وميناءها البحري وقصبتها عن مدينة عين دراهم. هنا وعلى مشارف الشاطىء الجميل يحلو التنزه وتنتعش النفوس. بوسعكم أن تُولّوا وجهتكم صوب ملّولة على بعد حوالي عشرة كلم من وسط مدينة طبرقة وعلى مقربة من الحدود الجزائرية. .. المشهد خلاّب بحق. واصلوا الرحلة حتى عين دراهم على الطرف الآخر. الطريق ملتوية بين أشجار الصنوبر: تخترق الغابات، تحاذي الهضاب... عين دراهم، المدينة الصغيرة الساحرة، تبهرك بطابعا المعماري المتميّز، تأسرك بصناعاتها التقليدية، بمطاعمها الصغيرة، بفنادقها حيث المدافىء التي لا يخبو لها أوار، وقاعات الاستقبال المزدانة على النمط الألزاسي، وكؤوس صيادي الخنازير البرية التي تذكرك بمواكب الصيد ووفرة المصيد... تغمرك الطبيعة بفيض سحرها وروعتها من لحظة مغادرتك تونس العاصمة حتى ساعة وصولك... مشاهد خلابة في تونس ربما لا تخلد على بال الكثيرين.

هل باتت القضيّة الفلسطينيّة على مشارف لعبة دُوليّة جديدة؟

د. إبراهيم علوش

عديدةٌ هي لكنّها متضاربةٌ التطوّراتُ التي تتابعت خلال الأشهر الأخيرة من سنة 2016وفي مطلع سنة 2017 والتي تؤشر إلى أن القضية الفلسطينية التي اجتاحتها عواصف «الربيع العربي» فتدحرجت إلى مهاوي الإغفال والتجاهل، عائدة إلى صدارة الاهتمام العالمي في هذه السنة التي تصادف مرور مائة سنة على صدور وعد بلفور الشيطاني الذي زرع في الجسم العربي سرطانا خبيثا سيظل ينهشه ولا يشفى منه إلا باستئصاله... كما تصادف مرور خمسين سنة على نكسة 5 جوان 1967 التي أتاحت لإسرائيل احتلال ما تبقّى من فلسطين وَفَوْقَهُ أراضي عربية أخرى ما يزال بعضها محتلا حتى الساعة.

Nikon

وقد تمثلت أهم هذه التطورات، مرتّبةً حسب تاريخ حدوثها، فيما يلي:

• اتفاقُ الولايات المتحدة وإسرائيل في أواخر شهر جويلية 2016 على حجم المساعدة الأمنية التي ستحصل عليها تل أبيب من سنة 2019 إلى سنة 2028، ومثلما هو معلوم فقد بلغ حجم هذه المساعدة التي تعدّ أكبر مساعدة تمنحها الولايات المتحدة لدولة أخرى على مرّ التاريخ، 38 مليار دولار أي بمعدل 3.8 مليار دولار سنويا.
• تعهُّدُ الرئيس الأمريكي الجديد دونالد ترامب في أواخر شهر سبتمبر 2016 في خضمّ حملته الانتخابية بنقل سفارة الولايات المتحدة الأمريكية إلى القدس إن تم انتخابه رئيسا.
• اعتماد منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو (في 18 أكتوبر 2016 قرارا ينصّ على أن المسجد الأقصى إرث تاريخي خاص بالمسلمين ولا علاقة لليهود به، وللتذكير فقد وافقت على هذا القرار 24 دولة (بينها 14 دولة ليست عربية أو مسلمة)، وعارضته 6 دول (الولايات المتحدة، وبريطانيا، وألمانيا، وهولندا، وإستونيا، وليتوانيا)، وامتنعت 24 دولة عن التصويت (بينها 8 دول أوروبية)، وتغيبت عنه دولتان، واللافت في هذا التصويت أن العديد من الدول لم تشأ أن تكون في واجهة دعم القرار، غير أنّها سمحت بتمريره من خلال عدم معارضته، وهو مؤشر أحرج إسرائيل وأغضبها.
• امتناعُ الولايات المتحدة غير المنتظر عن التصويت وعن استخدام حقّ النقض مثلما فعلت سنة 2011 ضد قرار مُشَابِه، لإبطال القرار رقم 2334 الذي اتخذه مجلس الأمن يوم الجمعة 23 ديسمبر 2016 والذي وصف بناء المستوطنات في الضفة الغربية وشرق القدس بأنه انتهاك للقانون الدولي وعقبة أمام حل الدولتين وطالب بإنهائه.
• انعقادُ مؤتمر باريس الدولي للسلام في الشرق الأوسط الذي شاركت فيه سبعون دولة ومنظمة دولية والذي أكد في بيانه الختامي خاصة على أن إنهاء الصراع بين الفلسطينيين والإسرائيليين لا يمكن أن يتحقّق إلاّ بحلّ الدولتين.
• إصدار الرئيس باراك أوباما، قبل مغادرته البيت الأبيض بساعات، قرار منح السلطة الوطنية الفلسطينية مساعدات ماليه بقيمة 221 مليون دولار، رغم معارضة الحزب الجمهوري. وما يسترعي الانتباه في جملة هذه التطورات هو تضاربُها أمريكيّا أولا، وغربيّا ثانيا.

أما على الصعيد الأمريكي فلا شك أن البون شاسع بين موافقة الولايات المتحدة، ولو في الأيام الأخيرة لولاية باراك اوباما، على قرار مجلس الأمن رقم 2334، وبين تلويح الرئيس الأمريكي الجديد دونالد ترامب على إثر تبنّي القرار بـ«أن الأمور ستكون مختلفة بعد 20 جانفي» أي بعد تولّيه الحكم.

كما أنّ البون شاسع بين إصدار الرئيس باراك اوباما قرار تقديم مساعدات بـ 221 مليون دولار إلى السلطة الوطنية الفلسطينية، وبين مسارعة الرئيس دونالد ترامب إلى إلغائها بمجرد اعتلائه كرسي الرئاسة...

وأما على الصعيد الغربي فإن التضارب يبدو واضحا بين الموقف الأمريكي من ناحية وبين الموقف الأوروبي من ناحية أخرى، ففي حين كانت باريس تحتضن المؤتمر الدولي للسلام في الشرق الأوسط وتدعو إلى حل الدولتين كان الرئيس الأمريكي الجديد يستعد لاستلام مقاليد الحكم ويحضّر لنقل سفارة بلاده إلى القدس. وفي حين كان وزراء خارجية دول الاتحاد الأوروبي وممثّلتُه العليا للأمن والسياسة الخارجية فيديريكا موغيريني يعلنون رفضهم لنقل سفارة الولايات المتحدة إلى القدس ويحذّرون من «مغبة تصعيد التوترات مع العالم العربي»، كان مبعوث السفير الأمريكي الجديد بتل أبيب ديفيد فريدمان يلتقي مع نائب رئيس البلدية الإسرائيلية في القدس للتباحث معه حول «ظروف عمليّة النقل». وفي ظل هذا الخليط الغامض من التطورات التي قد يبدو بعضها إيجابيا ويدعو إلى شيء من التفاؤل، بينما بعضها الآخر سلبي ويدعو إلى التشاؤم، يصعب التكهن بالوجهة التي سيأخذها مجرى الأحداث مستقبلا... غير أنه من المرجّح، كالعادة، أن تكون اليد الطولى في تحديد هذه الوجهة لإسرائيل وحاميتها الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا ما يمكن استخلاصه من مواقف الأطراف المعنية من مجمل التطورات التي عدّدناها...

ويكفي هنا أن نلاحظ مثلا أن بنيامين نتنياهو ردّ الفعل بكل صلف على تبني قرار مجلس الأمن رقم 2334 حيث سارع إلى استدعاء سفير الولايات المتحدة في تل أبيب لـ«يبحث» معه امتناع بلاده عن التصويت، كما قامت وزارة الخارجية باستدعاء سفراء الدول الأعضاء في مجلس الأمن الممثلة في إسرائيل (وهي بريطانيا والصين وفرنسا وروسيا ومصر واليابان وأوروغواي وإسبانيا وأوكرانيا ونيوزيلندا) يوم الأحد 25 ديسمبر 2016 أي يوم الاحتفال بعيد الميلاد لـ«تأنيبهم». ومن ناحية أخرى أعلن بنيامين نتنياهو عن إلغاء لقاء كان مرتقبا أن يعقده في دافوس مع رئيسة وزراء بريطانيا تيريزا ماي، كما أمر وزراء حكومته بالامتناع عن السفر الى الدول التي صوتت لصالح القرار أو مقابلة مسؤولين منها على امتداد الأسابيع الثلاثة الموالية أي الى حين تولي الرئيس الأمريكي دونالد ترامب مهامه الرئاسية. أما الأخطر من ذلك كله فهو مصادقته على بناء 2500 وحدة استيطانية جديدة في الضفة الغربية، ومصادقة لجنة «التنظيم والبناء»، في البلدية الإسرائيلية بالقدس الشرقية المحتلّة، على بناء 566 وحدة استيطانية جديدة في المستوطنات القائمة فيها.

أمّا فيما يتعلق بمؤتمر باريس الدولي للسلام في الشرق الأوسط، فإنّ وزير الخارجية الإسرائيلي اعتبر أنه «يبعِدُ السلام» وأنه «محاولة مصطنعة من أناس من خارج المنطقة يريدون إملاء حلول على من يعيشون فيها»...ومن جانبه وصف بنيامين نتنياهو المؤتمر بـأنه إحدى «ارتعاشات موت عالم الأمس الأخيرة» وأكد «أن الغد الذي قال إنه سيأتي سريعا سيكون مختلفا».

في المقابل، لا مناص من الإشارة أولا إلى أن مصر هي التي قدّمت، في البداية، مشروع القرار المتعلق بمسألة الاستيطان في الأراضي الفلسطينية المحتلة غير أنها قامت بسحبه تحت الضغوط التي سلّطها عليها كل من رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو والرئيس الأمريكي الجديد دونالد ترامب...

أما فيما يتعلّق بنقل سفارة الولايات المتحدة إلى القدس فقد كان رد فعل رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية محمود عباس عجيبا غريبا إذ أنه «هدد» بسحب الاعتراف الفلسطيني بإسرائيل وكأن ذلك سيمحوها من الوجود. أما الدول العربية فإنها عموما ما تزال تلتزم الصمت المطبق. وقد حاولت خلال مؤتمر باريس تضمين بيانه الختامي إشارة إلى مخاطر هذه الخطوة إن تمّت، غير أنها سرعان ما تراجعت أمام الرفض الأمريكي المطلق للخوض في هذا الموضوع، ولذلك صدر البيان خاليا من أي إشارة إليه. وأما فيما يتعلق بمؤتمر باريس ذاتِه، فإن الجانب الفلسطيني رحّب به وبنتائجه رغم أن البيان الصادر عنه حرص، بضغط من الجانب الأمريكي، على التنديد بما يأتيه الفلسطينيون من «أعمال عنف ومن تحريض عليه»، وقد اعتبر كبير المفاوضين الفلسطينيين صائب عريقات أن إجماع الدول المشاركة «على رفض الاحتلال والاستيطان رسالة لإسرائيل بأنه لا يمكن تحقيق السلام والاستقرار في المنطقة والعالم دون إنهاء الاحتلال العسكري عن فلسطين» وأن انعقاد المؤتمر جاء ليؤكد «ان الوقت حان للكفّ عن التعامل مع اسرائيل كبلاد فوق القانون، وتحميلها مسؤولية انتهاكاتها المنهجية للاتفاقيات الدولية وحقوق الشعب الفلسطيني»... وإذا لاحظنا أن الجميع، بمن فيهم الفلسطينيون، يعلمون علم اليقين أن مؤتمر باريس لم يكن إلا مؤتمرا «رمزيا»، وأن مُخْرَجَاتِه لن تغيرمن الواقع شيئا فإن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو لماذا حرصت فرنسا على عقده؟...

إن ما يخشاه بعض الملاحظين في الوقت الذي يتواصل فيه كلّ يوم تَبَخُّرُ حلمِ قيام الدولة الفلسطينية بقدر توسّع الاستيطان الإسرائيلي في الأراضي المحتلّة، هو أن يكون هذا المؤتمر وقبله قرار اليونسكو بخصوص إسلامية القدس ثم قرار مجلس الأمن بخصوص الاستيطان ليست سوى عمليات تبرئة مسبقة للذمّة مما سيأتي في المستقبل القريب من ترسيخ لأركان الدولة اليهودية التي عاد رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، مرة أخرى للتأكيد على أن الاعتراف بها شرط لا بد منه لاستئناف التفاوض مع الفلسطينيين، مع إضافة شرط جديد لم يسبق أن تحدّث عنه وهو سيطرة إسرائيل الأمنية الكاملة على كافة المناطق ما بين نهر الأردن والبحر الأبيض المتوسط.

أفلا يعني ذلك أن القضية الفلسطينية باتت على مشارف لعبة دولية جديدة؟...

م.ا.ح.

ما بعد داعش في العراق، أيّ مصير للأقلّيّات؟

حنان رئيس

خلال إقامتي في أربيل في كردستان العراق سكنت في عنكاوة وهي منطقة مسيحية، من أرقى المناطق في المدينة، يشدّك نظام منازلها ونظافة شوارعها وجمال كنائسها. كان ذلك أول لقاء لي مع التنوع الثقافي والديني للعراق. على مدى سنتين، عشت في هذه المنطقة الهادئة والجميلة دون أن أشعر بأي اختلاف. كانت تتناهى إلى سمعي وأنا داخل بيتي أجراس الكنائس المحيطة وإن كانت تدق بطريقة خجولة حتى لا تزعج الأغلبية من السكان الأكراد المسلمين في مدينة أربيل.←

عنكاوة

هي في الأصل قرية توسّعت وكبرت حتى التصقت بأربيل. فعبر السنوات ازداد عدد سكانها يوما بعد يوم من خلال النزوح المتتالي للمسيحيين القادمين من بغداد ومن البصرة ومن عديد المدن العراقية، حيث تمّ استهدافهم بشكل ممنهج، خاصة بعد سقوط نظام صدام حسين في 2003. دخول البلاد في حرب طائفية في 2004 جعل من الأقليات وخاصة المسيحية فريسة سهلة للأغلبية المسلمة، سواء من السنة أو الشيعة. ورغم التطاحن بين الفئتين، فإن كلتاهما استهدفت الأقلية المسيحية، فاستباحتا أموالها ونهبتا ممتلكاتها وطردتاها من بيوتها، هذا إلى جانب قتل المنتمين لها وخطفهم والاعتداء على أماكن عبادتهم.

فمنذ السقوط إلى اليوم، تم تفجير أكثر من 60 كنيسة في كامل أنحاء العراق. ولم ينقطع هذا الاستهداف أبدا، بل زاده ضراوة دخول داعش إلى البلد واحتلاله مناطق بأكملها، وتحديدا الموصل وسهل نينوى وهي المناطق التي استقرّ بها المسيحيون تاريخيا منذ القرن الأول للميلاد، لتتساقط البلدات المسيحية الواحدة تلو الأخرى مثل تلكيف وتلسقف وبرطلة وقرقوش وكرمليس ...ورغم أن تنظيم الدولة الإسلامية يعتبر المسيحيين من أهل الكتاب فإن ذلك لم يشفع لهم عنده. فعند احتلال مقاتليه للموصل في 10 جوان 2014 وبعد أيام قلائل من ذلك، بدأوا بالتضييق على المسيحيين، أوّلا بقطع الحصص التموينية عنهم وحرمانهم من الكهرباء، ثم في مرحلة ثانية عمدوا إلى تمييز منازلهم بوضع حرف (نون) عليها بمعنى «نصارى»، ليبلغ التضييق ذروته مع إطلاق نداء فجر يوم الجمعة 18 جويلية 2014 عبر مكبّرات الصوت في المساجد لتخييرهم بين الإسلام أو دفع الجزية أو مغادرة المدينة، وتمّ إمهالهم إلى منتصف اليوم الموالي لفعل ذلك. هرع سكان الموصل المسيحيون حاملين القليل من ممتلكاتهم، تاركين بيوتهم ومحلاّتهم التي سرعان ما احتلها مقاتلو التنظيم واستقروا فيها. ولم ينته الأمر عند هذا الحد، بل تمّ التعرّض لهم عند نقاط التفتيش عند مغادرة المدينة وسلبهم ما أخذوه معهم من أموال ومصوغ وأوراق ثبوتية، كما أُجبروا على ترك سياراتهم والالتحاق مشيا بمدن كردستان العراق القريبة (أربيل ودهوك).

نزوح 100 ألف مسيحي من مناطقهم في سهل نينوى

كنت شاهدة على وصولهم إلى أربيل من الموصل ومن بقيّة قرى سهل نينوى التي وقعت في يد التنظيم. ففي غروب أحد أيام جويلية 2014، قدمت مجموعة من النازحين المسيحيين متكدّسين فوق بعضهم البعض في سيارات وشاحنات مكتظة إلى أحد النوادي الرياضية الذي تحوّل ككل الكنائس والمدارس الموجودة إلى ملجإ لاستقبال الهاربين من بطش التنظيم. كان الذهول يرتسم على وجوههم من هول ما واجهو في الطريق ومعظمهم لا يصدّقون أنهم وصلوا إلى برّ الأمان.عيونهم كان يملؤها الخوف والفزع والحيرة حول مصيرهم والغبار يعلو أجسامهم وثيابهم. دخلوا بسرعة إلى النادي الرياضي التابع للكنيسة حيث تكفّل العاملون هناك بإعداد ما يلزم لاستقبالهم من حاشيات وأغطية وأطعمة وماء، وبدؤوا مباشرة في إحصائهم وتسجيل أسمائهم. بدا البعض منهم غير واع بما حوله مثل تلك العجوز التي كانت جالسة فوق بطانية تنظر حولها بعيون فارغة وقد تركها هناك ابنها الذي أتت معه، ليجلب لها بعض الماء. اقتربت منها وسألتها عن حالها فاستدارت نحوي وقالت: «لقد تركت ابني وعائلته هناك بين أيدي هؤلاء القتلة!أردت البقاء معهم لكن ابني الثاني منعني وأخذني معه! لا ادري ما الذي سيحصل لهم!» ثم سحبت هاتفها في محاولة يائسة للاتصال بهم لكنّ لا أحد يجيب على الطرف الثاني من الخط. لم تستسلم وظلت تحاول. كانت منهكة إلى درجة أنها لم تكن تقوى حتى على البكاء!

بين يوم وليلة تحوّلت عنكاوة إلى مخيّم كبير بدون سقف. تكدّس في كنائسها وبناءاتها، حتى تلك غير المكتملة، وشوارعها آلاف النازحين. أكثر من 100 ألف مسيحي هاجروا من مناطقهم في سهل نينوى، في موجة نزوح من أكبر الموجات منذ 2003 لتذكّرهم بموجات سابقة من بغداد ومن مدن جنوب البلاد وترسّخ لديهم الاعتقاد بأن العراق لم يعد بلدا آمنا يمكنهم العيش فيه. هكذا تعزّزت طلبات اللجوء إلى أوروبا وأمريكا وأستراليا لتصبح كردستان مجرّد محطة مؤقتة في انتظار العبور إلى بلدان الجوار مثل الأردن وتركيا ولبنان ومنها الى العالم الغربي. قرار الرحيل من الوطن ليس بالقرار السهل ولكنه شرّ لابدّ منه. هكذا ولآخر لحظة لم تكن أم مريم الحلاقة في شيخان (45 كلم من الموصل) تريد مغادرة وطنها والالتحاق بأبنائها في استراليا ولكن ما حصل لطائفتها لم يترك لها خيارا آخر. «لم يعد لنا مكان في هذا البلد» قالتها بحزم وبألم كبير.

ورغم أن معركة استعادة الموصل التي بدأت في 17 أكتوبر 2016 مكّنت من تحرير معظم القرى المسيحية التي وقعت في يد داعش، إلا أن عددا كبيرا من المسيحيين لا يرغبون في العودة الى قراهم خاصة بعدما شهدوا خرابها وتهدّم

منازلهم، مما سيحتاج منهم مصاريف كبيرة لإعادة البناء، كما أن لاشيء يضمن في ظل بيئة غير مستقرة ونزوع الأغلبية المسلمة في العراق (من سنة وشيعة وأكراد) نحو التشدّد، أن لا يتكرّر سيناريو الاضطهاد والاستهداف. من هنا جاءت دعواتهم لتكوين إقليم مستقلّ يضمّهم على غرار الأكراد في شمال العراق، خاصة وأن جورج بوش الابن كان قد وعدهم بذلك. ولكن في انتظار تحقق هذا الحلم، فقد سارعوا الى التسلّح وتكوين ميليشيات لحماية مناطقهم تدعى «قوات حماية سهل نينوى»، بما أنهم فقدوا الثقة في أي طرف آخر ليدافع عنهم.

إبادة الإيزيديين

لم تكن الأقلية المسيحية الوحيدة المستهدفة من قبل داعش، فما فعله التنظيم بالإيزيديين من تقتيل وتنكيل كان أفضع بكثير، لأنه يعتبرهم أساسا من «الكفرة». فالمنتمون إلى هذه الأقلية يعتنقون ديانة قديمة مسالمة تقوم على وجود إلاه واحد قدير يحكم الكون بالاستعانة بسبع ملائكة. على مدى وجودهم في العراق منذ 3000 سنة قبل الميلاد،تعرّضوا إلى 73 عملية إبادة من قبل كل الحكّام الذين تعاقبوا على حكم هذا البلد، كان آخرها حملة الإبادة التي قام بها ضدهم تنظيم الدولة الإسلامية، حين احتل منطقة سنجار ذات الرمزية التاريخية بالنسبة للإيزيديين في أوت 2014. هجوم مقاتلي داعش على المدينة بسياراتهم رباعية الدفع ورياتهم السوداء كان عبارة عن إعلان موت بالنسبة لسكانها، حيث وجد ما يقارب 300.000 إيزيدي أنفسهم محاصرين من كل مكان، بعد أن تخلّى عنهم الجميع بما فيهم مقاتلو البيشمركة الأكراد الذين يتشاركون معهم في القومية واللغة، بعد انسحابهم فجأة من مناطق الإيزيديين نحو الحدود السورية القريبة. حاول بعض الشباب الإيزيدي الدفاع عن مناطقهم ببعض الأسلحة البدائية ولكن مقاومتهم انهارت بسرعة أمام العتاد الذي كان يتمتّع به داعش، فلم يبق أمامهم سوى الموت أو الهرب. من نجا من قبضة داعش التجأ إلى الجبل المجاور جبل سنجار الذي تحوّل الى المكان الآمن الوحيد. اجتمعت فيه ما يقارب 30 ألف عائلة كانت تنقصهم كل الموارد الأساسية للبقاء من أكل وشرب وغطاء. بقوا مشرّدين على جبل أجرد قاحل لمدة أسبوع، مات خلاله الكثير من العجائز والأطفال. وحتى المساعدات التي كانت تصل عبر طائرات الإغاثة كانت تتكسّر بمجرد وصولها إلى الأرض. لم ينته هذا الكابوس إلاّ عندما نجح مقاتلوا حزب العمّال الكردستاني المتمركزون على الحدود السورية في فتح معبر من الجبل نحو سوريا ليتمكّن ما يقارب 100 الف إيزيدي من النجاة.

ورغم أنه تمّ توزيع الناجين على مخيمات سواء في سوريا أو في كردستان العراق، فإن مصير ما يقارب 3500 شخص بقي مجهولا إلى اليوم، بين من تم قتلهم ومن تم خطفهم. ففي كل قرية كان يسيطر عليها داعش، كان يعمد الى جمع السكان في مدارس ثم يقوم بفصل الرجال عن النساء فيُقتل الرجال ويُؤخذ النساء والأطفال إلى مقاره في الموصل وتلعفر والرقة. حوالي 5000 فتاة وامرأة تم سبيهن واستباحة أعراضهن والمتاجرة بهن وإجبارهن على ترك ديانتهن الأصلية لاعتناق الإسلام. الشيء الذي دفع ببعضهن الى الانتحار وبالبعض الآخر إلى الهروب بمساعدة مهّربين. لكن ما حزّ كثيرا في نفوس الإيزيديين أكثر من اعتداءات داعش واستباحته لأرواحهم وأعراضهم، كان تعاون جيرانهم من العرب مع التنظيم ومشاركته في عملية الإبادة الممنهجة التي تعرّضت لها هذه الأقلية. تقول نور وهي إحدى الفتيات الإيزيديات الناجيات من قبضة داعش إن الأمير الداعشي الذي قام باستباحة عرضها ثم ببيعها هو جارهم منذ ثلاثين سنة وكان يتردّد باستمرار على بيتهم من قبل.

استهداف التركمان الشّيعة من قبل التّنظيم

كل هذا يجعل التعايش اليوم مستحيلا من جديد بين العرب والإيزيديين. فعلى الرغم من تحرير سنجار من قبضة داعش منذ أكثر من سنة، فإن قلة قليلة من الإيزيديين عادوا اليها وهي المدينة التي كانت تجمعهم مع العرب

والتركمان والأكراد، وصار هاجسهم الوحيد هو الخروج من العراق نحو ألمانيا وبلدان أوروبية أخرى، مضحّين بموطنهم الأصلي حيث توجد كل أماكنهم المقدّسة. وهناك منهم من قرروا التسلح لحماية أنفسهم، بعد أن فقدوا الثقة في مواطنيهم من العرب والأكراد وحتى في القوى الدولية، فشكّلوا قوة عسكرية في سنجار درّبها مقاتلو حزب العمال الكردستاني وهم يشاركون حاليا في الحرب ضد داعش. اليوم حينما يُسألون عن رؤيتهم للمستقبل ما بعد خروج التنظيم من العراق، يجيبون بأن مطالبهم تتلخّص إما في الخروج من العراق أو البقاء ولكن في منطقة تكون محمية دوليا. نفس المطالب يتقاسمونها مع التركمان الشيعة الذين تضرّروا مثلهم مثل الإيزيديين من هجوم داعش على مناطقهم في تلعفر وأميرلي. 200 ألف شخص اضطروا لترك مدنهم وقراهم للهروب من داعش الذي لم يفرّق بين شاب أو شيخ أو امرأة أو رجل وقتل كل من وجده في طريقه وشرّد البقية الذين لجؤوا إلى المناطق الشيعية في جنوب العراق.وإلى اليوم لا يُعرف مصير 1200 شخص ممن خطفهم التنظيم،ونصفهم من النساء والأطفال.

هل باتت الهجرة الحلّ الأخير؟

مع قرب خروج داعش نهائيا من العراق، تطرح مسألة مستقبل الأقليات في ظلّ وضع يسوده عدم الاستقرار وصعوبة، إن لم نقل، استحالة التعايش من جديد بينها، بعد تمزّق النسيج الاجتماعي وانعدام الثقة بين مختلف مكوّنات المجتمع العراقي وانتشار الخوف والرغبة في الانتقام. ففي أماكن مثل سنجار، حيث كان يتعايش العرب والأكراد والإيزيديون والتركمان، أصبح من المستحيل التفكير في أن تجمعهم نفس المدينة من جديد وكذلك الحال أيضا في مدينة تلعفر التي كانت تضّم التركمان من السنة والشيعة قبل أن تنضم الفرقة الأولى إلى داعش للقضاء على الفرقة الثانية. وحتى المسيحيين الذين يُمثّلون أقدم وأكبر الأقليات في البلاد (يبلغ عددهم 1،2 مليون شخص) أصبحوا لا يأمنون العودة إلى مناطقهم بعد ما حصل فيها ويُفضّلون البقاء في كردستان العراق أو الرحيل خارج البلاد. باسم حنا، صحفي وأب لثلاثة أطفال، لا يخفي رغبته في الهجرة «فلا مؤشرات على تحسّن للأوضاع، إذ أن الخلافات السياسية وعمقها، حتى في داخل كل قطب ديني أو قومي مثل الشيعة والسنة والأكراد، لا توحي بأننا سنشهد استقرارا إذا لم نقل مزيدا من التوتر، كما أنني قلق على مستقبل أطفالي، فالمشهد قاتم أكثر من أيّ وقت مضى، إضافة إلى أننا كمسيحيين لم نعد ننسجم مع المتغيّرات على صعيد الفوارق الفكرية مع الطرف الآخر الذي يتّجه نحو مزيد من التشدّد». ويضيف باسم أن «الأقلية المسيحية بطبيعتها توصف على أنها الحلقة الأضعف من بين الأقليات، وتتّسم مجتمعيا بالاستقلالية الفردية على عكس المنطق العشائري الذي يشكل عنصر قوة وحماية لبقية المجتمعات المحيطة بها، ناهيك عن نفور الفرد المسيحي في العموم من الانتماء الحزبي والسياسي كوسيلة للاحتماء».

فهل يتحوّل العراق الى بلد بدون أقليات ليصبح أخيرا مسرحا للتقاتل بين المسلمين من السنة والشيعة والأكراد؟ وهل تفقد حضارة بلاد الرافدين، أولى الحضارات الانسانية، إلى الأبد تنوّعها الثقافي والديني والإثني؟.

ح.ز.

محمود المسعدي: الفكر والمسيرة

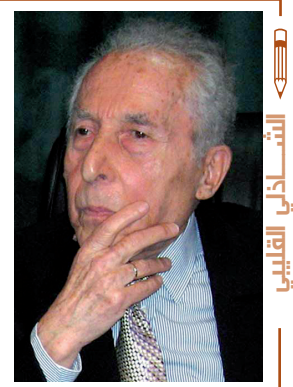

الشاذلي القليبي

تحيّة لرجل من أفذاذ تونس قام، أستاذا، بإيقاظ المهج، لدى الشباب.

ثمّ وضع، وزيرا، اللبنات الأولى لنظام وطني، للتعليم والتربية والتكوين، بعد أن كادت برامج التعليم تفقد أيّة منهجيّة وطنيّة.

ثمّ، قبل هذا وذاك، ألّف أدبا مستحدث الهموم والمشاعر، عريق اللغة، «تأصيلا لكيان».

سيبقى اسمه مقترنا بواجب النضال الفكري، بعد أن كان قوامُ أدبه مأساة الفكر، في طلب المعنى.

تحيّة لأستاذنا، تحيّة محبّة ووفاء.←

الأدب في نظر المسعدي (1)

انطلقت شهرته من أوساط تلاميذه، إذ كانت له منزلة فريدة لديهم، من بين أساتذتهم. زميله الذي يَكبره، عبدالوهاب بكير، كان له الفضل في تعليم اللغة، من حيث هي أداة الكتابة ؛ أمّا محمود المسعدي، فهمّه مضامين الكتابة الأدبيّة، منصهرة بين المشاعر والفكر. فالاستاذ بكير يُخرّج أجيالا يُتقِنون العربيّة ؛ ويتولّى المسعدي تلقينهم هواية الأدب، سبيلا إلى سبر منزلة الإنسان. شاع بين النُقّاد أنّ المسعدي مُتأثّر بالوجوديّة ؛ وقد ألّف كتبا قبل أن تخرج «الوجوديّة» من منابر الفلسفة إلى شوارع الحيّ اللاتيني، عند طلوع نجم الفيلسوف الفرنسي Jean Paul Sartre.

كِتابات المسعدي تُلقّن التزاما بالأدب، والتزاما بالعربيّة – بعد أن كانت الفرنسيّة تستقطب اهتمام الأجيال، زمن الحماية، وتستبدّ بهواياتهم. أنهى المسعدي، صراعاته الأدبيّة، بالتوجّه إلى النضال النقابي والعمل السياسي. فحاول أن يجعل الكفاح الاجتماعي من وقود قيم الفكر والحياة. ولكن قُواه لم تستجب له.

الكاتب محمود المسعدي

كان، من بين سائر أدباء عصره، أكثرهم طرافة فيما انتهج من توجّهات، وأعمقهم فيما حاول من معان، وأجزلهم لغة، وأصفاهم أصالة. فقد كتب بلغة متأصّلة في أمجادها العريقة، لكن بمضامين ذاتية، تنتسب إلى الحداثة، هواجس ومشاعر، بقدر ما تُذكّرنا بنثر أكابر أدبائنا في ماض مجيد.

تناول، في كتاباته، منزلة الإنسان ولعلّها تتمحور، عنده، فيما اعتبره مأساة الفكر الإنساني، في معالجة مُعضلات المصير، ومغلّقات الغيب. فأضفى على نثره، من سحر العبارة، وروعة الخاطر، ما جعله نموذجا فريدا في الأدب العربي. ولئن كان أسلوبه يذكّر ببعض أسلافه القدامى، ولئن كانت خلجات معانيه كثيرا ما يُخالطها استيحاءات من الأدب الأوروبي، فلا هذا الشبه، ولا ذاك المأخذ، يرقى إلى المسّ بالروعة والفذاذة في أدب المسعدي.

أسلوبه في محاضراته، مثل منهجه في نثره، مُمتِعٌ،مُغلَّقٌ، مُمتنع المحاكاة، مع جزالة اللفظ، ورجّة المشاعر، وفخامة، في الصوت، يتميّز بمثلها مَن اعتبِر، طيلة حياته، عميدَ الأدب العربي وقد شُغف بمطالعة كتاب «السدّ»، وأعاد قراءته مِرارا، لعلّه يظفر بحلّ رمزيّة معانيه. وعندي أنّ طه حسين، في قراءته للسدّ، إنّما خَلبَت سمعَه لغتُه وأسلوبُه الكتابي ؛ دُون حاجة إلى النفاذ إلى معنى.

من جلّ كتاباته، ومن خلال أحاديثه – في عزّ قواه، وفُتوّة شبابه – كان يتضوّع أريج الإيمان بأنّ الأدب علاج الحَيرة. فجاء أدبه مضطرما، فكرا ولفظا. فلقد كتبه في عزّ شبابه، وقبْل أن تتغلّب لديه هموم الحياة اليوميّة، وقبل أن تستأثر بفكره شواغل المجتمع. أدبه مُقترنٌ بِفَوْرة الشباب، ونبض الفكر، وصراع مأساة رَمزَ إليه بـ«السدّ».

فلمّا دُعي، في منتصف العُمر، إلى معترك الكرامة والنهوض، إذا مسؤوليّة الإسهام في البناء تُنسيه مآسي الحيرة، وصراعات السدود ؛ وإذا هو ساع لِكفاح يُخرجه ممّا كان انغلق عليه من الفردية، لِيقذف به في معترك «الغيريّة»، «تأصيلا لِكيان» وطني.

مسيرة المسعدي (2)

لا شكّ أنّه من أفذاذ تونس. بدأ حياته الاجتماعية أستاذا، في طليعة المربّين، فكرا وطموحا وحزما. ثمّ أثبت منزلتَه بين أهمّ كُتّاب العربيّة، نثرا فنّيا فريدا في نوعه، لِما يُخالجه من أريحيات شِعريّة، وما يُداخله من أتواق فلسفيّة، وما أراد به من انتماء إلى «الأدب الكبير» بعيدا عن المجتمع.

لكن في منتصف مساره الاجتماعي، إذا هو يلتحق بالنّضال النّقابي، صحبة الزعيم فرحات حشاد.وإذا به يَصبح العضدَ الثقافي لزعيم اضطلع بدور تاريخي في تمكين الكفاح التحريري من قاعدة شاملةٍ للشغّالين، كافة، بالساعد وبالفكر. وكان ذلك مُنعرجًا في حياة المسعدي، جعَله يقترب من الأوساط الشعبيّة، فيُلقي خُطبه بلُغة بين الفُصحى والدارجة ولكنّها دارجة الأديب المثقّف.

قد كانت أغلب دروسه مُحاضرات، يُلقيها بصوته الجهوري، ذهابا وإيابا بين صفوف التلاميذ، متحدّثا عن رسالة الأدب، جوهر الوجود، في نظره. وكانت العلاقة بين الأستاذ وتلاميذه – وتشرّفتُ بأن كنتُ منهم – على نمطٍ فريد من الجِدّ والحزم، مع التزام أسلوب في التخاطب يقي العلاقة من الابتذال. وكان تلاميذه أوّلَ قُرّاء مقالاته التي يَنشرها في مجلّة المباحث. وهم الذين كانوا يُروِّجون لها في مختلف الأوساط.

ومن مقالات المسعدي، في المباحث، شاعت مقولةٌ عِلقت بالأذهان، وهي أنّ «الأدب مأساةٌ أو لا يكون». ولا يهمّ أن يَعرف تلاميذه أنّ

هذه المقولة تُذكِّر بمناخ بعض كتاباتٍ أوروبية، يَنظُر أصحابُها إلى الحياة على أنّها مغامرةٌ، مآلها على منوال المآسي المسرحية اليونانية.

والمسعدي، على غرار زعماء الوجوديّة في فرنسا – وظنّي قبل أن يكون لهم شأن أدبي وإعلامي – يرى أنّ الأدب جدّ والتزام، لا تَرفٌ ولهْوٌ. فقد بدأ الالتزام، عند المسعدي، من أجل معالجة المنزلة الإنسانيّة. ثمّ اعتنق النضال الوطني، فتطوَّرَ به الالتزام إلى كفاح من أجل حريّة الوطن، وكرامة المجتمع. كان المسعدي ينظر إلى الأدب على أنّه من أهمّ وسائل إثبات الذاتِ، وتأصيل الكيان. فلم يَتَّبع ما ذهب إليه بعض «المهاجرين» ثقافيّا، من مواطنيه، إذ كتبوا بالفرنسية على أنّه كانت له تجربة من هذا القبيل في شبابه، لكنّها لم تطل، ولم يتحدّث عنها. ثمّ صار الهمّ النقابي محورَ شواغله الخاصّة والاجتماعيّة، وفي قلب حياته العائليّة إلى جانب زوجته الباسلة، شريكة كفاحه.

وهذا التطوّر، في حياة المسعدي، أدخل على سلوكه سِماتٍ جديدة، من أهمّها مسحةٌ من التواضع، بعد أن كان يُعرف عنه نبرةٌ من الخيلاء. يَقترن اسم المسعدي بكِتاب السدّ. كان ألّفه في عزّ شبابه، بعد أن ألقى، على الورق، شذراتٍ منه، بالفرنسية؛ ثمّ تفرّغ لكتابته على النحو الذي نعرفه؛ وبقي في مخبّآته، حتى صَحَّ منه العزم، فدفع به إلى الطبع. ولم يكن ذلك من باب الصدفة : فلا شكّ عندي أنّ «السدّ» يروي قصّة التزام، وطورا من كفاح فكري، اجتازه الأديب بالتغلّب على القنوط، الذي طالما جعل بينه وبين الحياة «سُدّا» يمنعه من التعاطي مع شواغلها. لكن بنشر «السدّ»، انفتحت مسيرة جديدة أمام المسعدي، إذ طبّقت شهرتُه الآفاق؛ ثمّ كَتَبَ عنه، بالثناء والإعجاب، عميدُ الأدب العربي، طه حسين. على أنّ الكِتاب لم يَحظ بما كان به جديرا، لا في مصر، ولا في بقية أقطار المغرب والمشرق. وحُرم الشبابُ العربي، من الاطّلاع على لغةٍ، وأسلوبٍ في الكتابة، وفكر في النظر إلى الحياة، على طرافة بالغة الأهمّية.

أمّا بقية مراحل مسيرة المسعدي، منذ قِيام المجتمع الجديد، بعد الاستقلال، فمُشْرِقَةٌ : فقد استنارت بهديه وزارةُ التعليم ؛ وشَرُفَت بإطلالته وزارة الثقافة ؛ وكَرُم برئاسته مجلسُ النواب. والحقُّ يُقال: هذه الشُّرُفاتُ، التي أطلَّ منها المسعدي على المجتمع الجديد، لم تَزِدْ في قيمة الرجل، ولا في قامة الأديب، إذ كان قد ارتفع ذكرُه بفضل كبير أدبه.

ش.ق.

---

(2)من حديث إذاعي للكاتب
(3)حديث للكاتب ألقي عن المسعدي

CAP FM
91,5
105,6
95,2
La 1ère Radio du Cap Bon...

LE B ON AIR EST SUR CAP Fm

Hkayet Ennes

Avocat, 7ofra, Baladiya, Mandoubia
El Kilma Lik , Cap El Khire

Cappucino

BCE, RG, HH, YC
#Borhen_Bsais #Moez_Joudi #Bilel_Beji #Abir_Dhouib

News

9999 j'aime
#ines_Bouafif #Asma_Mouadeb #Safa_Ksila #jamel_Ferhi #Ihsen Ghazali

The Night Show

Baligh Hamdi, George wasouf, Ahmad Helmi
#Rami_mouch_bil3ani

Zéro Politique

7rayer Tounes, Astuce Beauté
#Amal_Ben_Mohamed

La Terrasse

Mustpha Dalaji, Zaza, Jaefer Gasmi, Wafa Boukil
#Houssem_Sahli #Oussama_Souiai

Awled El Cap

Bousbi3, Bnete, mark zuckerberg
M3a Ghazy w Malek sayeb hbalik

Sport

ASH, FCH, SM, COK, GS
#Moadh_Cherfi #Aymen_Sghaier #Chiraz_Bouchoucha

Adresse : Avenue Abu Dhabi 8050 Hammamet-Tunisie
91.5 fm 105.6 fm 95.2 fm radio cap fm www.capradio.tn 31 363 750

حمـــودة بـــن حليـــمـــة

حلقـــة الوصـــل بيـــن الأدب والسّينمـــا فـــي تـــونـــس

برحيل المخرج السينمائي حمّودة بن حليمة فقدت السينما التونسية أحد روّادها المؤسّسين، فقد كان الفقيد ضمن المجموعة الأولى التي ناضلت من أجل إنشاء سينما تونسية وطنية، سافر إلى فرنسا سنة 1957 لدراسة السّينما في المعهد العالي لدراسات السينما بباريس،وتخرّج فيه سنة 1960، في خريف تلك السنة ذاتها نشر البشير خريف على صفحات مجلة «الفكر» قصّة «خليفة الأقرع» التي ستظهر لاحقا ضمن مجموعته القصصية «مشموم الفلّ»، وسيجعل منها حمّودة بن حليمة فيلمه الروائي الأوّل عام 1968 فيرتبط اسمه بها إلى الأبد. ربما لم ينتبه النقاد في الإبّان إلى فرادة هذا الشريط السينمائي، لكن سرعان ما أصبحت مختلف الدراسات النقدية لتاريخ السينما التونسية تتوقف عنده باعتباره لحظة مهمة في سياق نشأة السينما في تونس وتطورها.

خليفة الأقرع عمل تأسيسي

تعتبر مرحلة الستينات الأرضية الصلبة التي نهضت عليها السينما التونسية حيث أسهمت مجموعة من السينمائيين الشبّان العائدين من فرنسا بتكوين أكاديمي بينهم حمودة بن حليمة الذي توفّي عن سنّ تناهز 82 عاما في وضع اللّبنات الأولى للقطاع. كان الإنتاج السينمائي مقتصرا على الوثائقيات الإخبارية المتخصّصة في الدّعاية السّياسية والأخبار الحكومية والحزبية، في الأثناء أسّس السينمائيون الشبان المنضوون منذ 1962 تحت مظلّة جامعة السينمائيين الهواة مهرجان قليبية الدولي للفيلم غير المحترف في 1964، فكان حاضنة مهمّة لخطاب سينمائي جديد برؤى وأساليب مختلفة. ولسوف تصبح سنة 1966 سنة مرجعية في التأريخ للسّينما التونسية باعتبار شريط «الفجر» للسينمائي العصامي عمار الخليفي أول فيلم روائي تونسي طويل رغم أن هذا الشريط الذي يتناول بالسّرد أحداثا من النضال الوطني لم يكن ليتناسب مع التّوجه الفنيّ الذي يمثّله التيّار الشبابي وكان موضع انتقاد عنيف من بعضهم علنًا ، لكنّ اختلاف الرّؤى والتّوجّهات بين الأجيال والمدارس سيكون له دور مهم في وضع السينما التونسية على سكّة الاختلاف والتنوّع والتّجريب بما سيمنحها خصوصيتها ويجعلها قاطرة في المجال الافريقي والمتوسّطي، لا سيّما بتأسيس أيام قرطاج السينمائية في نفس السّنة، وإنشاء مخابر السّاتباك في قمرت سنة 1967، وخلال الخمس سنوات التي تلت ظهور فيلم «الفجر» ظهرت ثمانية أفلام تونسية يجمع النقاد على أن فيلم خليفة الأقرع لحمودة بن حليمة 1968 يعتبر من أهمّها إطلاقا لتعبيره عن الشخصية التونسية من جهة ولأنه يدشن بنجاح اتّجاها في السينما الروائية يهتمّ بالمنجز السّردي المحلّي، ولم يخرج الفقيد عن هذا التيّار في عمله التّالي سنة 1972 عندما أخرج أقصوصة علي الدوعاجي «المصباح المظلم» التي تضمنها فيلم «في بلاد الطرزني» إلى جانب أقصوصتين ثانيتين لنفس الكاتب هما «سهرت منه الليـالي» للهـادي بن خليفة و«نزهة رائقة» لفريد بوغدير، وسيظلّ عدد الأعمال الأدبية التي يتمّ تحويلها إلى السّينما في تونس قليلا لكن السينما التونسية ستفرض بسرعة نفسها على النّطاق الدولي حيث انتهت عشرية التّأسيس باختيار فيلم عبد اللطيف بن عمار «حكاية بسيطة كهذه» للمشاركة ضمن القائمة الرسمية لمهرجان كان السينمائي.

سينما المدينة والجسد

لئن كان اختيار المدينة فضاء للسّينما قد ارتبط بتجارب متقدّمة في التسعينات على غرار «عصفور سطح» لفريد بوغدير أو «سلطان المدينة» للمنصف ذويب، فإن البداية الأولى كانت حتما مع فيلمي «خليفة الأقرع» و«المصباح المظلم» لحمودة بن حليمة، في الفيلم الأول يدور جزء كبير من الأحداث فوق سطوح البيوت حيث يتجوّل خليفة الأقرع بكل حرّية ليطلّ على عوالم محظورة في مراوحة بين المكان الضيق والفضاء المفتوح تعبيرا عن نشدان الذات إلى الحرّية والانعتاق عبر التجربة الحسّية التي تتحرر فيها الأجْساد من قيود المجتمع وتقاليده، هذه اللّغة الرمزية أساسية في أدب البشير خريف، نجدها في «برق الليل» حين يصوّر مغادرة الفتاة الشابة السجن الذي وضعها فيه زوجها قبل الذهاب إلى البقاع المقدّسة وتجوالها فوق السطوح ليلا وهي تتقصّى أثر موسيقى إفريقية غامضة تأتي من مكان ما، وفي مقالته عن هذا الفيلم ضمن كتابه «من مدوّنة السينما التونسية» والتي جاءت تحت عنوان: «خليفة الأقرع عمل تأسيسي متميّز»، يخصص الهادي خليل فقرة كاملة لوظائف اللّقطة الفوقية في الفيلم يرى فيها أن المخرج كان حريصا على إيجاد الصيغ الأسلوبية التي تمكّنه من إظهار مأساة خليفة الدفينة، فجعل اللقطة الفوقية تُهيكل الصورة بشكل أساسي لتبرز البطل وهو يتجوّل في المدينة كما ترافقه وهو في خلوته وهي بذلك تتجاوز كونها مؤثرة

تقنية لتصبح خيارا جماليا، فاللّقطة الفوقية تظهر أن «وجود الشخصية وجود جنيني كامن في ذلك الرحم الواقعي كما تظهر انحدار مكانتها» . وفي شريط «المصباح المظلم» يسند المخرج كذلك دور البطولة المطلقة للمكان حيث تدور وقائع القصّة في المسافة الفاصلة بين محلّ الحلاقة الكائن في نهج الباشا وبيت الحلاّق الذي ينتبه وهو يستعـد لإغـلاق المحل إلى وجود امرأة وحيدة تحت المطر، ويغلب الصمت على حوار الاستدراج والإغراء الذي بنيت عليه القصة كلّها بين الشخصيتين المرأة والرجل أو آدم وحواء في المطلق.

العتبات المحظورة

بعاهة جسدية استطاع الفتى دخول البيوت المحصّنة والتّمتع بما فيها من فواكه محرّمة بعيدا عن أعين الرقباء، تلك هي قصة خليفة الأقرع التي تنبني على ثلاثة مشاهد تتعلّق بالجنس، المشهد الأول حين دعته النسوة ليملأ لهن الماء من الماجل لغسل ثياب العروس رفيقة والحقيقة ليضحكن منه.. وفي هذا المشهد تجتمع الفتيات حول جسد خليفة الأقرع وهو يدلك الفرش رقصا فيتحول غسيل الفرش إلى ما يشبه الرقصة التي تصوّر جوع الغريزة (تملّص مرّة وحبا وأمسك محرزية من حيث لا ينبغي، فدفعته، فوقع في الماجل..)،

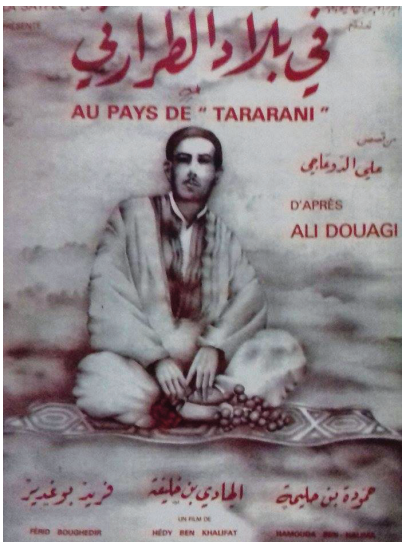

المشهد الثاني في القيلولة، زمن العولة، فوق السطح، حيث يلتقي خليفة مع جليلة بنت الحاج ويتآلفان (بلغت بهما الصداقة إلى أن أطلع كل منهما صاحبه على ما يشتمل عليه من بدائع، ثم قارناها، ثم ألّفا بعضها ببعض فتآلفت، إلى أن طغى الوجد مرّة على الحذر، فغرزت أظفارها في وجهه) أمّا المشهد الثالث فيروي كيف استدرج خليفة الأرملة صلّوحة بعد أن هدّدته بكشف الوساطات التي يقوم بها بين الفتيات والفتيان لأخيها سي المختار، لكنّه وفي جوّ غريزي مثير ينتبه إلى ما تعيشه الأرملة من كبت جنسي عنيف وينتهي إلى مواقعتها بالقوّة (ومن الغد أصبحت الأرملة صلوحة تطارد القطّ لتذر خليفة ينام ورمت على رأسها رداء وخرجت تشري الحليب لتعد له وجبة إفطاره).

أدبيّا تعتبـر قصـة البشيـر خريف هذه واحدة من أهمّ الأعمال القصصية التي تصدّت بشفافية عالية إلى موضوع الجسد، فبقدر ما كان المجتمع التّقليدي محافظا إذا ما نُظر إليه من الخارج، فإن دمّلة على رأس خليفة الأقرع أباحت النظر إلى هذا العالم المغلق من الداخل لاكتشاف ما ينطوي عليه من قفز على المحظورات، وسينمائيا انتبه كمال بن وناس في مقالة له بعنوان: «السّينما التونسية، في البحث عن الهويّة» إلى أن حمّودة بن حليمة قد ابتكر في فيلم «خليفة الأقرع» لغة سينمائية خاصّة به تجاوز بها حيرة البدايات حول هويّة السّينما التونسية في علاقتها بمختلف الروافد شرقا وغربا، و» قد اسْتطـاع أن يحـكيَ بالسّينـما الواقـع اليـومي داخل فضـاء المدينـة التقليدي المحافظ»، هـذا التميّز الأسلـوبي هـو الذي جعـل تجربة حمودة بن حليمة تحتلّ موقعا خاصا في تاريخ السينما التونسية على ندرة أعماله واقتصاره لاحقا على المشاركة في أعمال أخرى في مستوى السيناريو، كما جعلت تجربة فيلم «خليفة الأقرع» لحظة فارقة في سياق التحاور الخصب بين الأدب والسينما..

عامر بوعزّة

102.5 Mhz
Sousse
Hammamet
Nabeul Sud
Zaghouan

104.4 Mhz
Kairouan
Sidi Bouzid
Kasserine
Seliana

89.4 Mhz
Monastir

91.6 Mhz
Mahdia
Sfax

FM

Jawhara

تابعوا "بوليتيكا"
على الجوهرة FM

من الإثنين إلى الجمعة من 12:00 إلى 14:00

www.Jawharafm.net

الإبـــداع الأدبـــي وإشكـاليات الزّمـــن الـــرّاهن

عز الدين المدني

لقد كتبـــتُ مسرحيّـــة جديدة عنوانِها «بيّاع اللِّحَى» من جنس الكوميديا، أيّام كان فيه علي العرَيّض رئيس الحكومة التّونسيّة، وأيّامًا طويلة متوالية بلا نهاية كان فيها الباعة أمام جامع الفتح، على شارع الحريّة بالعاصمة، يعرضون بضاعتهم المغشوشة من عطورات فاسدة، وكولونيات «صينية» خطيرة، وسبحات بالعنبرِ لا رائحة لها إلاّ أنفاس خبيثة، و حتّى ملابـــس شرقيـّة لا علاقة لها مطلقا بالشّباب الوطنية التّونسيّة ولا بالشباب الأوروبية المتّبعة منذ عقود في البلاد، مع أنّها ذات ألوان مظلمة كالأسود والأزرق الدّاكن والكستنائي الغامق. وهي قذرة، ومهترئة، لا يشتريها إلاّ أهل السّذاجة والغفلة والحماقة.←

كان هؤلاء الباعة قد احتلّوا الرّصيف أمـــام الجـــامع بأجسامهم المبطبطة ولحاهم الطّويلة الّتي تغلي ببقايا الخنانة الجافّة مع شيء من غَبْرة الحنّاء الحمراء من هنا وهناك في لون اللّهيب والنّار. وكانت عيونهم الّتي يغلب عليها الرّمصُ تحدّق في الرّائح والغادي بوقاحة وتنمّر واشمئزاز. وكان المارّون على الرّصيف يتضايقون من البخور النّتن. أمّا النّساء صاحبات البراقع السّوداء فكنّ يقفن رغم الزّحام أمام نصبات الباعة لشراء كحل العيون لكنّه يعمي! والغريب أنّ هؤلاء النّساء بالبراقع تلمع عيونهنّ، وهنّ طويلات كالرّجال، يلبسن أحذيّة رجاليّة، وحين يسرن على الرّصيف لاحظتُ أنّ خطاهنّ كخطى الرّجال، ويلعبن بالمرافق لفتح طريقهنّ بين المارّة واكتظاظهم المزعج. ولله في خلقه شؤون وخفايا وشكوك!!!

عنونتُ مسرحيّتي الجديدة هذه «بيّاع اللِّحَى» في وقت الشّدّة والفوضى، في زمن التّهديد بالسّحل والوعيد بالقَتل، في دنيا تكفير المسلمين الذين أسلم أجدادهم الأُوَل عند فتح إفريقية وتأسيس القيروان، في تونس الّتي باتت غنيمة لطالبي الكراسي الجياع، وفي أيديهم السّيوف والخناجر والسّكاكين، ورواياتهم سواد في سواد أسود من المداد!.

كان هذا البيّاع الكوميك يبيع جميع اللِّحَى بأجناسها وأنواعها وصفاتها وألوانهـــا: مـــن الأبيض الفضّي حيـــن تبزغ عليها الشّمس إلى الأسود الفحمي الّذي هو خلاصة الظّلمات فوق الظّلمات تحت الظّلمات، ومن الأصفر الفاقع إلى الأخضر الشّعشعاني، ومن الأزرق في زرقة الجنّ الّتي كان يتزيّن بها أبوجهل إلى الأحمر القرمزي القاني، لحية أبي لهب. ومعلوم لدى شيوخ المؤرّخين أنّ أبا جهل كان يتبختر بها أمام نادي قريش بمكّة وأسقفها كان يومئذ ورقة بن نوفل، مرفوقًا بصاحبته وبكلبها المستكلب.

وَ«بيّاع اللِّحَى» هذا كذّاب. وهو يحمل دكتوراه في الدَّجَل وكذلك شهادة الأستاذية في حبك الحيل والدّسائس، وزرع بذور الشّقاق والفتنة وقلب الحقائق. وقد سبق له أن زار مرارًا وتكرارًا «الحبس الجديد»، وأقام إقامات مريحة بمعتقل الهوارب مع الأكل والشّراب والرقّاد بالمجّان مدى الحياة إذا أراد! لكنّه ينكر ذلك إنكارًا شديدًا ويصرخ: دافعتُ عن الشّعب! فمن الّذي يقدّم لي تعويضًا عما قاسيته في برج الرّومي والزّنْدالة والحبس الجديد والكَرَاكَه؟ وهو يردد: وعلى كلّ، عفا الله عما سلف!!! فلقد سامحتُ كلّ من ظلمني.

هذا النّموذج البشري الذي تراه في كلّ نهج وزنقة وشارع هو قصير القامة كأنّه قريب من الأرض، بدين سمين أعجر السّمنة، عظيم اللّحية، طويلة سائلة حتّى أنّها تكنس الأرض، يضع أحيانا ذؤابتها بين منخريه وشفته العليا لتكون كالشّوارب المفتولة الّتي تزين وجه الأبطال القدامى. وإذا طالت واستطالت أحيانا عليه حمل طرفها على كتفيـــه ومشـــى لكي لا يدوسها بحذائه الخشن الجلف. وإذا ما اشتغل بسلعته المهرّبة المعروضة على البيع من قِبَل من هم مثله فهو يجعل لحيته كحزام فوق قميصه المشرقي.

وإذا ما زَطَلَ مع أصدقاء السّوء والدّعارة في الخفاء الخافي، وترنّم وغنّى بصوته الأبحّ راقص لحيته الفارعة، وضرب الأرض بقدمه في إيقاع رتيب متواصل وصاح: يا اللّي نْسِيتِ خالك!!!

بين الواقع والخيال المبدع

هذه المسرحيّة المنغمسة في الواقع التّونسي الرّاهن المعيش هي موازية مع ما يحدث في تونس من الأحداث الجسام، وليست منافسة لها ولا مزاحمة. ولئن أخذَتْ من هذا الواقع الملموس الحقيقي المعيش فإنّها قد كشَفَتْ أنّ ذلك النّموذج البشري هو في حقيقته مجرم، وذلك قبل أن تعلن بعض وسائل الاعلام الوطنية أنّ بعض من يتشدّق بالدّين إنّما هم أصحاب جنح وإجرام. وقد رأيتُ عند ذلك أنّ المسرحيّة على خطّ سويّ بينها وبين الأحداث الواقعيّة في البلاد. وقد يصدق قول القائل عليها من بعض نواحيها: إنّما الأدب مرآة ينعكس عليها الواقع! وحول هذا القول شكوك... كما هو معلوم. وتساءلتُ كثيرًا عمّا تجدي هذه المسرحية ذات الموضوع المحرق الرّاهن، وعمّا تعلن وتبلّغ، وعمّا تفيد وتحيط، وعمّا تربّي وتثقّف، وعمّا تُعْلِم بكلّ تواضع واختصار. أليست الصّحافة أفضل منك؟ فهي تتصيّد الآنيّ وتستولي على الظّرفي! أو ليست سلطتها الإعلامية أقوى من سلطتك الأدبية والفنيّة؟!

القول الأدبي بل لنقل الإبداع الأدبي-حسب التّعبير الرّائج والمفهوم اليوم من الكتابة الأدبية - أنّه ذو سَمْك زمني سواء كان في شكله أو في غرضه أو في موضوعه. وهذا السّمك قد يكون غليظا مثلما يكون رقيقًا. وهو يجمع الأزمان الثّلاثة: فالماضي لا يكون في الغالب الأعمّ حبيس ما فات. بل هو قد يشير إلى الرّاهن ولا سيّما إلى المستقبل. وتلك الإشارة إلى الرّاهن هي عبارة عن شعاع نورانيّ شفّاف لا يراه إلاّ من كانت له بصيـــرة. والمستقبـــل لا يكون في الغالب الأعمّ أيضًا حبيس ما سيأتي. فثمّة ارتباط عضويّ بين الأزمان الثّلاثة، إذ الآتي يلتفت دائمًا إلى ما قبل، وما خلف، وما انصرم، وما فات.

أمثلة معتبرة

مسرحية «ريشارد الثّالث» ذات سَمْكٍ زمني غليظ وكثيف، فنصّها لم يتجاوزه الزّمان، ولم يفته شيء. فهو حاضرٌ وماضٍ وآت في آن واحد.

ورواية «كوكب القـــردة» وهي تنتمـــي إلى فصيلة «الخيال العلمي» وذات باع عظيم في الأدب، تنظر إلى ما مضى دائمًا، بينما الحكاية فيها تَرْمِينَا إلى آلاف من سنـــوات المستقبل، وتدفعنا نحو كوكب تسكنه القردة افتراضًا. فنصّها متداخل الأزمان، بل متضامن الأزمان في وَحْدة متماسكة. لا عَيْـــبَ فيها على زمن المستقبل ولا على زمن الحال ولا على زمن الماضي، ولا خلل. ورُبَّ ماضٍ يُرى كمستقبلٍ

للأجيال والبلاد ويُعْتَبَر! ورُبَّ مستقبلٍ خيالي يريك ما يجدّ في راهن الزّمن ما لا تراه العين وما لا يعيشه الانسان!

وكلا العملين المذكورين لم يعرفا الذّبول ولا الموت، وكأنّهما قد كُتبا بالأمس القريب منّا جدًّا جدًّا، فهما حيّان يُرزقان طوال عقود وقرون... وما أكثر مثل هذين العملين في الآداب العالميّة قديمًا وحديثًا.

على أنّ الزّمن الرّاهن يطبع ببصمته العميقة كلّ عمل أدبيّ ظهر في الزّمن الرّاهن، وكأنّه نتاجه ولكن ليس كذلك، ليس كما يتوهّم بعض النّقّاد، لا سيّما إذا كان هذا العمل الأدبي بعيدًا كلّ البعد عن الرّاهن السّياسي والاجتماعي، عن راهن البلاد. فالبصمة العميقة قد يظفر بها القارئ أو المتفرّج إنّما هي في اللّغة والتّعابير والكلمات الّتي يستعملها الكاتب في عمله الأدبي والفنّي الرّاهن في الزّمن الرّاهن. ولإضاءة هذه المسألة لنقل إنّ المؤرّخ حين يدرس تاريخ تأسيس مدينة القيروان سنة خمسين للهجرة النّبويّة مثلاً فإنّه يستعمل لغة الزّمن الرّاهن لدراسة الزّمن الغابر، ولا يفتعل لغة عقبة بن نافع ولا أسلوب الفاتحين المؤسّسين ولا يتكلّف ولا يتصنّع. لكنّ الكاتب الأدبي حين يعتزم كتابة رواية تجري أحداثها في العصر الصّنهاجي بالمهديّة مثلاً فهو لا يكتب عمله بلغة ابن شرف وابن رشيق وأساليبهما وتعابيرهما اللّغويّة بل يكتبه بلغة العصر الّذي يعيش فيه وبتعابيره وبكلماته. ولكن يجوز أن يكتب روايته عن أحداث خيالية حدثت افتراضًا في العصر الصّنهاجي باللّغة المستعملة وبأساليبها وبتعابيرها يومئذ اقتباسًا من كتاب « العمدة في صناعة الشّعر ونقده»، ومن كتاب « رسائل الانتقاد». فالإبداع الأدبي يخوّل هذا الجواز. إلاّ أنّ النّاقد البصير وحده يجد أنّ هذا الكاتب قد استعمل لغة عصره خلال لغة العصر الصّنهاجي انتقاء وترصيعًا وتضمينًا. وتلك هي البصمة العميقة الرّاهنة.

ع.م.

SAMA3NI SOUTEK

Répondeur@RADIO_MED

72.328.600

une vague de bonheur

LA RADIO QUI VOUS ECOUTE

#UNEVAGUEDEBONHEUR

100%_TALK

يوميّـــات مـــواطن عيـــــاش

نـــاريـــا حبيـــبـــي نـــار!

عادل الأحمر

كنت جالســـا في البيـــت بيـن قهوة وشيشة ، ومعي «المدام»، تنتقل بين تقطيعـــة وترييشـــة، عندما دق ناقوس الباب، فإذا به أغلى الأحباب، صديقي العيّـــاش حاملا قفّته، وقارنا عبسته، فلم أشأ أن أســـأله عـــــن سبب هذه التقطيبة، تفاديا لغضبـــاته الصعيبة، وللحظات أعرف مسبقا أنها ستكون عصيبة.

وبعد أن دخل العيّاش واستقرّ في جلسته، ورأيت فراغ قفّته، سألته: «يظهر أنك ذاهب إلى السوق يا صديقي ؟»، فأجابني : «بل أنا عائد منه ، بعد أن شاح ريقي». فقلت مازحا :«تحبّ نجيب لك كاس ماء؟»، فأجاب بكل جديّة : «هاذي لا ينفع فيها لا ماء ولا دواء». فقلت : «ما القصّة يا أغلى الأحباب ؟ ولماذا عدت من السوق خالي الوطاب؟ لا تقل لي أنّ جماعة المرشي عاملين إضراب!.». قال العياش: «لا إضـــراب ولا هم يحزنون، بل ضرب تحت الحزام من النـــوع الممنوع في أنبل الفنون»، فطلبـــت منـــه وقـــد أخـذ مني حبّ الاطلاع مأخذه، أن يروي لي قصّته بالتفصيل.

قال العيّاش، «خرجت إلى المرشي كعادتي، حاملا معي قفّتي، وأنا أدعو الله الستّار، أن يقيني عذاب النار، ولم أكن أقصد جهنّم بل نار الأسعار، بعد أن امتدت إلى كل المواد ألسنة اللهب، ورأى المستهلك كل أنواع العجب، من فلفل غلبـــت الموز أسعـاره، إلى بصل أصبح له بين الخضروات خنّاره ، ولا تسل عن اللحم فهو في أعالي السماء، قد غدا حلما للفقراء، يمرّون به يائسين، وفي القلب شوق وحنين، ثم يميلون عنه إلى الدجاج، وظّنهم أنه نصير المحتاج، لكنهم لا يجدون منه إلا الصدّ، بعد أن ارتقى في سلّم الأسعار وصعد. أما السمك فمثل الحبيب المتمنّع، تراه قليلا وبه لا تتمتّع، وتكتفي بحبّ عذري من بعيد، لا يغني من جوع ولا يفيد.

وبينما كنت غـارقا في أحـلام العشق والغرام، يأخـذني فكري من طعـــام إلى طعام، وجدت نفسي فجأة أمام عربـــة بائع متجوّل، يعـرض البصـــل والبطاطة والفلفل، فقلت في نفسي : «لعلّ صاحب البرويطـــة يكون أكثر رحمـــة بنا، وهو الذي لا يدفع باتيندة ولا أداء»، لكن خاب ظنّي وعقلي طار، عندما سمعته يسرد لي قائمة الأسعار، ثم انقطعت أنفاسي وأنا أضرب أخماسي في أسداسي، أحســـب كـــم تكلّفـــني شكشوكة أو عجّة، فإذا بي أصاب برجّة، بسبب ارتفاع أسعار الخضر إلى أعلى درجة ، وأنا الذي كنت أعتقد، أنني سأجد فيها السّند، بعد أن هربت من نار اللحوم والأسماك، هروب المهدّد بالهلاك، فقلت في نفسي : إذا كانت شكشوكة أو عجّة بمثل هذا الثمن، فسوف أكتفي بقطعة خبز وكأس لبن.

ولاحظ لبـــائع إطـراقي وتـــردّدي، فأسرع إليّ مخاطبني : «فيم إطراقك يا رجـــل ؟ أترى أصابك الخجل ؟» فقلت : « أي نعم والله ! خجلي من نفسي ومن جيبي المسكين، لا يقدر على عجّة أصبحت حكرا على المترفين، أو شكشـوكة تعـالت على المساكين، وخانت طبقتها، طبقة الكادحين».

وعندما شكوت للبائع حرقة الأسعار، وعجز الدينار، ومضاربات التجّار، قال لي : «علاش ها الهرجة، واكتف بالفرجة، فالفرجة بلّـوشي، وفـــرصة للّي ما عنـــــدوشي». وإزاء هذا التمقعير، لم يبق لي إلا أن آخذ قفّتي وأطير، قبل أن تصبح الفرجة بمقابل مالي، يعجز عنه المواطن الزوّالي».

ع.ل

شمس FM

تونس الكبرى
101.7 FM

بنزرت
95.7 FM

قفصة
88.7 FM

صفاقس
96.2 FM

الوطن القبلي
106.5 FM

المنستير
90.6 FM

القيروان
107.0 FM

سوسة
93.7 FM

شمس FM، وين إنت، وين أحنا

www.shemsfm.net

بطاقة

الـــدّيـــك والـثّـــورة

في مزرعة صغيرة نائية، ليس فيها ماء ولا كهرباء، يعيش مزارع فقير مع زوجته الفقيرة وأطفالهما؛ ولكنّ العائلة كانت، على ضنكها، سعيدةً غاية السّعادة بكنزها الذي منّ به الله عليها؛ وكنز العائلة ديكٌ، ليس إلاّ! ولكنّه ديك، لا ككلّ الدّيكة، طبّقت شهرته الآفاق، وتقول الأخبار التي يتناقلها العباد إنّه أذكى ديك على وجه البسيطة؛ فعزم صحفيّ شاب على الفوز بقصب السّبق، فسافر إلى تلك المزرعة النّائية، يريد أن يقرن الخبر بالصّورة؛ فلمّا بلغ مقصدَه، وقد لاقى في طريقه من الأهوال والأغوال، ما يشيب لهوله الولدان، هاله ما رأى من مظاهر البؤس والفقر، ووجعه قلبه حتّى كاد يعود على أعقابه، لولا أن خرج المُزارع، فجلس إليه فخورا، يحدّثه عن ديكه العجيب: «هذا ديك صالح، يؤذّن للصّلوات الخمس في أوقاتها.

وإذا أحجمت دجاجتنا الوحيدة عن المبيض، باض نيابة عنها؛ وإذا لم تحضن بيضها، حضنه؛ وإذا حام ثعلب أو ذئب حول المزرعة، طارده حتّى يولّيَ الأدبار! والله، هذا ديك ابن حلال؛ أراحني من عناء الحصاد والدِّراس والمذراة؛ يقوم اللّيل والنّهار، يجمع بمنقاره الصّابةَ حبّة حبّة، ولا يقتات منها إلاّ بإذن، ويقدّرها تقديرا صحيحا، دون زيادة أو نقصان»؛ فقال الصّحفيّ، وقد داخ للحكاية: «هل أستطيع أن ألتقط صورة أو صورتين لهذا الدّيك المعجزة؟» فصفّر المزارع، وإذا الدّيك العجيب يقفز من وراء كوم زبالة لم تُرفع منذ 14 جانفي 2011، كما هو الحال في كلّ أصقاع تلك البلاد العجيبة، وإذا هو، بحقّ، عجيب عجب، منزوع الجناحين، ينطّ بساق واحدة وليس على جلده ريش أو زغب؛ فقال الصّحفي مبهوتا: «ما هذا أيّها الرّجل؟ لماذا هو على هذه الحال؟»؛ فقال المزارع وهو يداري حزنه: «فأمّا الرّيش، فقد نتفناه وسادةً للمولودة التي هلّت في بيتي؛ ويعوّض عليه الله بإذنه ريشَه المنتوف؛ وأمّا الفخذ والجناحان، فأنت تعرف حال المرأة النّافس، ليس أنفع لها من مرق الدّجاج؛ وبعد هذا وذاك، هل تريد أن نأكل ديكا ذكيّا كهذا دفعة واحدة؟». حال الدّيك كحال الثّورة في هذا البلد.

****

امرأة في ربيع العمر، استحمّت، ووقفت في شرفتها في الطّابق العلوي، تنشّف شعرها، فلمّا انحنت تطلّ على الطّريق، فَقَدَتْ توازنها فسقطت ووقعت في حاوية القمامة؛ ووقف متسوّل ينبش في الحاوية فوجد المرأة وقد أُغميَ عليها، فأخذ يقلّبها ظهرا على بطن؛ ثمّ قال يحدّث نفسه وهو يضرب كفّا بكفّ: «يا لَهؤلاء الأثرياء الأغبياء! كيف يلقون بها في الزّبالة؟ مازالت صالحة للاستعمال عشرَ سنوات على الأقلّ!»... ولكلّ شيء أجلٌ، لا يصلح بعده، كما الدّواء والغذاء والمُلْك؛ فالدّواء يصير فاسدا وضارّا إذا فوّت أجلا مضروبا؛ كذلك الغذاء إذا تجاوز، صار ضرُّه أكثر من نفعه؛ كذلك المُلك، يَصلح ويَفسد، وله أجل مضروب، قد يطول ويقصر، ولكنّه قدر مكتوب، «لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ (قرآن كريم)»؛ وكعادتهم، كان الأمريكان أوّلَ من ابتدع تلك الملصقات على علب الدّواء والطّعام، تنبّه لتاريخ الصّنع وتاريخ الصّلاحيّة؛ ثمّ تبعهم خلق كثير؛ ولكنّهم حرّفوا وزوّروا؛ فالبَيْض تالف عندهم إذا تجاوز خمسة عشر يوما؛ صالح عندنا، حتّى لو فقّس وفرّخ؛ والحكم عندهم فاسد إذا فات أجلا مضروبا، ولكنّه عندنا لا يحمل إلاّ تاريخ الميلاد، أمّا تاريخ نهاية الصّلاحيّة، فغيبٌ لا يعلمه إلاّ الله.

ص.و.

بقلم الصحبي الوهايبي